الثقافة

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

ايلول (سبتمبر) ١٩٦١

العدد الرابع

السنة الرابعة

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق — ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

ايلول (سبتمبر) ١٩٦١
العدد الرابع
السنة الرابعة

قبسة عن « باكستان »

بقلم : الدكتور عادل العوا

في صباح يوم حار من ايام الشتاء الحالي ؛ شتاء الدولة الشقيقة باكستان ؛ هبطت في مطار (كراتشي) طائرة تحمل احد اعضاء وفد جمهوريتنا العربية المتحدة الى الدورة الثامنة للمؤتمر الفلسفي الباكستاني . وعلى ارض تلك المدينة الفسيحة ؛ لقي الزائر استقبالا رحبا ولمس روح الشرق الناعمة الباسمة لدى رجال الامن ، ونسائه ايضا ، وبعد اجراء التسجيل الرسمي بسهولة ويسر ، بدت البلاد الباكستانية ممثلة في هذه السيارة الانيقة التي تسير من المطار الى المدينة على الجانب الايسر من الطريق ، بحسب طراز التقاليد الانكليزية الاصيلة ، والى جانبي الطريق جموع غفيرة من المواطنين الباكستانيين ، لوحتهم الشمس المنيرة اشد الانارة في ذاك الصباح ، وجعلت الظلال الوارفة التي تقتطفها الاشجار الباسقة الكثيفة الاوراق ، المتشابكة العروق والاغصان ، ظلالا شديدة السواد ، وتصايحت اصوات عصافير تزأر زئير الآساد في اجماتها فتملا الجو الصحراوي الفسيح بموسيقى غريبة تنقل الخيال الى تسمية (واق الواق) ..

وبينما كانت جموع المواطنين تتزاحم على جانبي الطريق وهي تغدو الى ممارسة اعمالها في تلك الساعة المبكرة الحارة من ساعات النهار ، جلس شيخ وقور اشعث اللحية طويلها يرتدي الزي الباكستاني ، ولنقل الزي الهندي الوطني الذي الفته عيون الناس في كل مكان ، على انه زي البلاد المحلي ثياب بيضاء ، وعمامة بيضاء ، واقعاءة حالمة في ظل دوحة الظل شديد الظلام ، والنور على مقربة منه شديد النور على مقربة منه شديد النور ، وفي هذا التناقض بين النعيم والجحيم جلس الشيخ العجوز يأمل غير آبه للكون الذي يجري عبر الزمان ، وكانه (نبي) مضور من انبياء الشرق القدمى الذين عرفوا الوحي برسالاتهم في ظل الاشجار ونهضوا بها مبشرين بدعوة الخير والاصلاح والسلام ، دعوة اللاعنف والتسامح ، وانك لتدرك هذه الدعوه كذلك عبر المآذن الاربع الدقيقة النحيلة في المساجد المنجنحة التي تكتنفها الواحات فتلمس دفعة واحدة تفاعل الحضارة الغربية ولنقل الانكليزية ، مع واقع الاسلام الشرقي في بلاد السند والهند وبنغال ..

تلك هي الانطباعة المباشرة الاولى التي رسمت في نفس الزائر العربي في اولى لحظات تماسه مع شعب (باكستان) الشقيق في ارض عاصمة باكستان .

وليس في شأني هنا ان اصطنع سيرة الاديب في رحلة استغرقت قبضة من الايام ، ولكنني احب ان احدث القارىء عن الغرض الذي من اجله اشتركت

جمهوريتنا العربية باعمال مؤتمر يعقد سنويا منذ ثمانية اعوام في مختلف مــدن باكستان باقليميها على السواء . هذا المؤتمر هو المؤتمر الفلسفي الذي افتتحه السيد رئيس الدولة (الفلد مارشال محمد ايوب خان) فرحب بالوفود واعرب عن نظرته الى موضوع المؤتمر قائلا : ان المشكلة العظمى في العصر الحاضر ، عصرنا هي ضرورة العمــل على تنسيق قوى الدين والفلسفة والعلم ، ولا سيما وان انقطاع التوازن بين التقدم المادي وبين الثقافة الاخلاقية قد احدث ثغرة كبرى ، وخلق هوة خطرة وابقى على عاتق المفكرين واجباً ثقيلا ، وعبئاً ينبغي عليهم ان ينهضوا بامانته .

وطبيعي انني لن اتناول في هذا الحديث العام الجانب الفني او « التقني » من اعمال المؤتمر المذكور بل اكتفى بالاشارة الى ناحية واحدة اعتقد انها جديرة بعناية المثقفين في بلادنا العربية ، وهي ناحية السجية القومية ، او الخلق القومي ، التى بحثها المؤتمرون بحثاً مستفيضاً متعمقاً ، وكان موضوعها احدى دعــامتين اساسيتين عقد المؤتمر من اجلها هذا العام .

وقد تحدث المؤتمرون عن معنى القومية الباكستانية وبحثوا مقوماتها ، واختلفت اراءهم - كما هو طبيعي في هذا الميدان الفسيح ، وكان اختلاف الآراء ظاهرة ممتازة تدل على سعة الاطلاع ، وحرية الرأي والجهد المبدع الخلاق ، ولكن هذه الآراء المختلفة اتفقت بما يشبه الاجماع على القول بأهمية الصيغة الروحية ، او العنصر الديني ، في قومية (باكستان)

فاذا شئنا ان نلم الماماً خاطفة بمعنى هذا المفهوم وجب علينا ان نمضي في ظروف دولة (باكستان) ونذكر فلسفة هذه الدولة الفتية في نشوئها وترعرعها منذ عهد قريب ذلك ان العرب الفاتحين عرفوا بلاد السند والهند في ظل التوسع الاسلامي باتجاه الشرق ، وقد عاشت في تلــك القارة القديمة شعوب متباينة العقائد والطبقات ، واشتهر النظام الاجتماعي القديم في الهند باسم نظام الطبقات الذي يفرض على كل جماعة من الناس الانتماء الى طبقة خاصة متميزة بالدين والمهنة والزي واللباس فضلا عن التمايز باللغة واحيانا بالعرق والجنس . وهذا النظام الطبقي « المتحجر » كما يقال لم يبق في الواقع متحجرا وان ظلت اثــاره ماثلة للعيان حتى هذه اللحظة في الهند وفي (باكستان) . فقد مرت عهود وادوار كثيرة على تلك المنطقة الوسيعة من العالم ، وقيل ان القومية الهندية لم تولد الا بنتيجة رد فعل او ارتكاز منذ الفتح الانكليزي ، والاستعمار البريطاني وهو كسائر ضروب الاستعمار لم يسع الى التوفيق بين فئات الشعب وطبقاته ، بل استغل معطيات هــذا الاختلاف والتنافر ، وطبع بطابع ثقافته ولغته وحضارته الفكر الناهض الحديث لدى ابناء البلاد ، وتجلى هذا الاثر ولايزال ؛ في تفاهم المثقفين عامة هناك باللغة الانكليزية ، وكأنها لغة تشبه اللغــة اللاتينية في العصر الاوروبي الوسيط ، او اللغة العربية التي امست لغة التفاهم في زمن الفتح المسلم ... ولكن العرب حملوا الى بلاد السند لغتهم ودينهم فنشأت حضــارة زاهرة على اساس تراثها نادى الفيلسوف الباكستاني (محمد اقبال) بضرورة بعثها من جديد حين دعا سنة ١٩٣٠ الى اقامة دولة اسلامية داخل (الهند) ، فــكان بذلك رائد (باكستان) .

الدين اذن كان اساس نشأة الدولة هناك . ولكننا نكاد نجزم بانطباع شخصي خلاصته ان الدين خلق (باكستان) ، ولكن الدولة ستخلق في زمن قريب او بعيد قومية باكستانية تساير تطور المفهوم القومي الحديث .

وبعبارة اخرى ، ان ولادة الدولة الشقيقة على اساس الاسلام لايخلو من ان يكون استجابة طبيعية للظروف المشخصة التي تنفرد بها (الهند) في تاريخها القديم والحديث ، وقد كان التحام المفهوم الديني بالمفهوم الطبقي وتفاعلها مع نتائج الاستعمار البريطاني الى ماقبل عهد التحرر والاستقلال ، كل ذلك كان كافيا لبناء الدولة من حيث ولادتها على اساس الدين ، او العنصر الروحي ، كما يردد اخواننا في المؤتمر الفلسفي الذي المعنا اليه . غير ان ثمة الى جانب المفاهيم الفكرية وقائع اجتماعية وبشرية تطالع المدقق كحقائق حية في (باكستان) . ترى كيف يتم تمازج الفئات العرقية والطائفية والمهنية والطبقية في تلك الدولة الفتية الشقيقة اذا لم يعتنق المفكرون وقادة الرأي ورجال السياسة والعمل ترجمة افــكارهم السامية الى لغة

آخر الاصدقاء

بقلم : انطون حمصي

وهكذا اترى – ايها الديك الطيب الصغير ، اننا وحيدان فلم اعد بشيء ذي بال بالنسبة لاحبتي ، اما احبتك.. آه انك لم تعرف قط حبيباً لاني ما عنيت بسعادتك .

ونظر الديك الى الرجل من خلال كأس الويسكي ، كأسه ولو انه ممزوج بكثير من المـــاء وعلى انه يكفي لسكرة ديك . كان يبدو مهتماً بالحديث كما لو كانت هناك لغة مشتركة بينه وبين الرجل الذي افسده وانساه طعم الماء النقي وماذا في ذلك ؟ انه لم يبق له على كل حال مايربطه بسائر الديكة : فهو يشرب في كاس من الكريستال ، منتصباً على مائدة ، ويسهر حتى شعاعات الفجر الاولى ولا يغني ابداً ، ولو انه غنى فان غناءه سوف يبدو متنافراً مع هذا المنزل الصامت الكئيب .

نظر الديك الى سيده ثم القى برأسه الى الوراء ، وتابع الآخر مرسلا بقهقهة ارادها مرحة :

– لا داع للمراوغة ! انت تظنني مجنونا اذ تريد ان تقنعني بانك تحب وحدتك ! آه .. بالطبع انت تعيش كما تشاء ، وليس عليك ان تنحني امام نزوات انثى .. ولكن اتعرف مع ذلك ان دجاجة جميلة لطيفة تكسب حياتك نكهة .. بمجرد ان تستطيع التحدث الى ابناء جنسك .وان تحس الى جانبك مخلوقاً في الليل . انك تغش . فأنت تظاهر بالاصغاء الى حديثي لتكسب الوقت وتتوقف عن الشرب.. هيا ايها الصديق الخبيث .. اشرب !

وامسك الرجل بعنق الديك وغمسه في الكأس . ويبدو ان الطعم لم يكن كريها بالنسبة للديك الذي فتح منقاره بنشوة وتراخ وتابع الرجل :

– اما بالنسبة الي فالامر مختلف تماماً ، فقد اعتدت رغم كل شيء على وحدتي وانا الآن احبها ، اتفهم ما اقول؟ اني احبها . نعم ان احس من حين الى آخر بالحـــاجة الى التحدث ، ولكنك هنا وانا اتحدث اليك ، اليس كذلك ؟ انت لا تفهمني. اجل انت لاتفهمني رغم احتجاجك، ولكن اكنا نبقى صديقين لو انك تفهمني ! لقد رأيت بعينك الكلب فيدور نفسه الذي يعد حيوانا ذكياً وامينا يهجرني مع

الصلات الوطنية التي تربط بين ابناء البلاد على اساس قومية واعية يتساوى فيها المواطنون بالقانون وبالواقع معا .

اننا لا نسمح لانفسنا بان ننصح زملاءنا هناك بالاتجاه في هـــذا المنحى او ذاك من مناحي التطور والنهوض والاصلاح . ولكننا ندعوهم الى تعمق الحركة القومية في البلاد العربية والاسلامية ، ونؤمن بان اللغة القومية عنصر رئيسي في حياة الامة ، ووسيلة عظمى لايمكن التخفف منها ولا التغاضي عنها في ميدان تفاهم المواطنين وتوحيد عقولهم وجميع شتات عواطفهم وادبهم ، وتنسيق اسس ثقافتهم واهـــداف رسالتهم ووجودهم . ونحن لاننكر المشكلات الضخمة التي تجابه المسؤولين في (باكستان) وهي كلها مشكلات كبرى على مقياس وسيع جد وسيع ولكننا نؤمن كذلك بان ابناء (باكستان) وقادتها اهل للنهوض بالعبء ، والوفاء بالامانة ، ولانرتاب في ان ميدان التقارب الفكري في ظل الفلسفة الانسانية الصادقة كفيل باستمرار التعـــاون بين (باكستان) والجمهورية العربية المتحدة ، وضامن لاطراد هذه المشاعر الاخوية العميقة النامية ، وهي مشاعر وثيقة عميقة كوثوق الصلة التاريخية التي تربط العروبة بالاسلام .

الدكتور عادل عوا

الآخرين . ماذا ؟ اتقول انه لحق بابني الذي يحبه ؟ وانا ؟ الم احبه ؟ ومن الذي كان يطعمه ويعنى به ويداعبه ؟ هل تستطيع اذن ان تقول لي لماذا هجرني ؟ اشرب ، اشرب ، فلسنا نستطيع ان نفعل ما هو احسن من ذلك .

لم يتحمل الديك هذه المرة الحاحاً ، فما ان قرب صديقه كأسه منه حتى غطس فيه منقاره واخذ جرعة كبيرة .. وربت الآخر على عنقه وقال بلهجة مواسية :

ـ انك تنهك نفسك كثيراً ويجب ان اجرعك دواء للحنجرة . كلا ! كلا ! اياك ان تنصحني ! لو كنت استطيع ان استمر في معالجة الناس اتعتقد اني كنت انتظر نصيحة ديك ؟؟! لا تحزن ولا ترمني بهذه النظرة العاتبة ! ولكن اسمعني وافهمني جيداً : ان القلب شيء اساسي بالنسبة للطبيب انه لا يستطيع ان يعنى بمريض ما لم يحس المه ويشاركه مرضه ، اي دون ان يحبه نوعا ما ، وانا لم اعد قادراً على الحب !

وتنقلت نظرات الديك في قسمات وجه الرجل المتعب فاحصة ، وتابع الطبيب قائلا :

ـ اياك ان تعتقد اني كنت كذلك دائماً ! وعلى كل حال ـ لقد كنت طبيباً ناجحاً . انت ديك ولذلك لا تستطيع ان تفهم ان هناك اشياء يجب على الانسان الا يفعلها ومن بين هذه الاشياء السكر مع ديك ولكن الناس هنا يقبلون ذلك مني دون ان يرموني بالجنون وذلك من اجل الخدمات التي قدمتها لهم . ماذا ؟ اتهز رأسك ؟ الا تصدقني ؟ اتقول انهم بالحري اشفقوا علي ؟ انت تخيب رجائي ! انت لست بصديق حقيقي ! كلا لست بصديق حقيقي ، والا افهمت ني لست في حاجة الى الشفقة . لست في حاجة الى من يرثي لي ، حتى انت ، اتفهم ؟ حتى انت !

واشتعل وجه الرجل وامتلأ حيوية وارتفع صوته واخذت قبضته تخبط على الطاولة وهو يصيح :

ـ لست في حاجة الى الشفقة ايها المخلوق الحقير ! انت ايضاً تستطيع الذهاب ، تستطيع اللحاق بالآخرين ! اذهب الى السواقي وعش حياة ديك ! وبدا الذعر على الحيوان المسكين الذي فاجأته ثورة سيده فقفز على الارض مهتاجاً

واخذ يطير على ايقاع خبطات الرجل في ارجاء الغرفة وقد جن جنونـــه . وايقظ اصطفاق الاجنحة الآخر الذي بدأ يعود الى هدوئه ، واخـــذ يتابع ديكه الذي انتهى بالاستسلام بعد ان هدأت هو الآخر مخاوفه . وحمله الى الطاولة وغمس منقاده في الوسكي وقال مصالحاً :

ـ انت لمن تخاصم صديقاً قديماً اليس كذلك ؟ انت ترى اني احبك جيداً واني لم ارد حقاً ان اجرح شعورك . اكنت اهوج ؟ آه ! ان هذا محتمل وبالحري صحيح . انت تذكرني شيئاً . الا تعتقد ان سوء تصرفي هو الذي افقدني الذين احبهم ؟ آه انا ارى انك تبتسم ! لا بأس انا اوافقك على اني كذبت حينما قلت لك اني اعتـــدت على وحدتي واني احبها . وماذا في ذلك؟الا يستطيع الانسان ان يسمح لنفسه ابكذبة صغيرة امام صديق قديم ؟!

وركز الديك نظراته الصافية في وجه سيده الذي تابع:

ـ تصور انه لم يتيسر لي قط ان اعرف عطفاً حقيقيا . لاتحاول ان تفهم لان الامور تجري لديكم معشر الديكة بصورة مختلفة . ان ابي كان مشغولا بلذاته عني ، اما امي فقد كانت تخشى نموي الذي كان يدنيها من الشيخوخة اتستطيع ان تصدق ياديكي الصغير ان ابي لم يعرف اني انهيت دراستي الا يوم كان عليه ان يدفع تكاليف العيادة ، وان امي كانت تخشى ان تقول ان لها ولداً في الجامعة كيلا تبدو متقدمة في السن امام زميلاتها في لعب البريدج ؟

الم اقل لك انكم معشر الديكة لاتستطيعون فهم التعقيدات الانسانية ؟

وتوقف الرجل عن الحديث برهة ليأخذ جرعة كبيرة وبدت نظراته تتيه بعيدا جداً ، ورغم النافذة المفتوحة الى جانبه ، كان العرق يسيل على خديه ، ولم يعد يرى ديكه ولكنه مع ذلك تابع حديثه قائلا :

ـ في الجامعة لم افعل شيئاً ما . ! ثم .. ثم ليس في دراسة الطب متسع للبحث عن العطف والعاطفة . ولاحظ اني لم اكن شقياً . صحيح اني عرفت بعض الخيبات ولكني لم اكن اشعر انها دمغتني . اجل ايها الديك الصغير لقد دمغتني بصورة اقوى مما كنت اظن ، وربما كانت هذه الخيبات هي التي جعلتني اشرب معك ايها الديك المسكين !

عريس الوادي

شعر ..

الشاعر القروي رشيد سليم خوري

ثكلته في السابعة عشرة . فوعدها في الحلم انه سيفاجئها في ذكرى يومه الاربعين بباقة من شعر عمه « القروي : »

٥ ٥ ٥

ما يلاقي الحبيب في شعر عمه — اي شعر ارق من دمع امه
رام اهداءها اللآلي من نظمي — ومن لي كدمعها او كنظمه
ليت لي منه غمسة القلم الصادي — تروي بالشهد قضبان كرمه
يستقيها الخيال يرجع منها — حاني العود مثقلا بعد عقمه

٥ ٥ ٥

وظهرت فجأة عليه علائم التفكير وقال :

— اتعتقد ايها الصديق الديك انك تقترف جريمة اذا أحببت انسانا ما حباً كبيراً ؟ لقد احببتها ، تلك المرأة ، أحببتها وخضعت لكل رغباتها . اكان علي ان اقاومنزواتها؟ ربما كانت النهاية غير ذلك لو اني احببتها اقل مما فعلت ؟ ولكن قل لي ياصغيري الديك ، اتستطيع ان تفهم ان تهجرك امرأة لانك احببتها؟امن العدل ان تعاقب على حبك بان تهجرك زوجتك ويتبعها ولدك ؟

وبدا على الديك انه يحضن الرجل بنظرات متفهمة مواسية . وضم الرجل وجهه بين كفيه وتمتم .

— لقد وددت لو اعاود المحاولة من جديد ، ولكني بعد كل هذا الفشل خائف ، لم اعد اجرؤ على الحياة ، اني خائف ايها الديك ، خائف ..

وتهالك على الطاولة وتابع بيأس :

— اني خائف .. خائف من ان اعيش

ولم يستطيع ان ينتبه اثناء ذلك ان ديكه يقترب ببطء من حافة الطاولة القريبة من النافذة . وافاد الديك من غفلة سيده وبرفة جناح صار في الطريق .

ولم يعرف الرجل كم من الوقت مضى بين اللحظة التي سمع فيها اصطفاق الاجنحة وتلك التي افاق فيها مذعوراً على زمجرة سيارة لجمت في ارضها فجأة ، ولم يعرف كيف فعل حتى خرج الى الشارع .

وعلى الرصيف ، كان عدد من الجيران الذين خرجوا على صوت الفرامل ، وكانت السيارة قد اصبحت في آخر الشارع .

وفي وسط الطريق ، كان الديك المسكين يتخبط في محاولة يائسة كي يعيش .

مشهد لن ينساه اهل الحي قط ، هو مشهد طبيبهم وقد حمل بين ذراعيه صديقه القتيل ومشى بخطى ثقيلة نحو منزله ، محدودب الظهر وكأنه كبر فجأة خمسين عاماً .. وفي هذه اللحظة لم يخش ان يراه سكان الحي يبكي لاول مرة.

انطون حمصي

رب ماذا لو عاش « البير » حتى يتملى من حسنه طرف عمه
كم تمنيت - ان ارى وجهه الحلو فاودى الردى بحلمي وحلمه
قمر مفرد النباهة والحسن لماذا محقته قبل تمه
قل عريس الوادي وحسب يزغرد كل من فيه باسم من لم تسمه
خر من حالق الى الارض ميتاً لم يجد غير نفسه حول جسمه
ما تباطأت لو حسبت بأن الارض مثلي تذوب شوقاً لضمه

⊙ ⊙ ⊙

لا تلم عمك المنكد يا البير واغفر له شناعة جرمه
عمك الشيخ حامل ألف هم وهو لا يملك النهوض بهمة
لم تفكر فيه الصياقل الا بعد ان امعن الكفاح بثلمه
برج مجد احبابه تتباهى انها تسبق الاعادي لهدمه
كم صديق يحار لبك فيه لست تدري ترياقه من سمه
لم افد من مدارس الخبث الا انني اعجز الورى عن فهمه
رغم علمي بالناس اخدع والمرء مسوق بطبعه لا بعلمه
ان اردت الحياة تعبق طيبا فأجرح الشاعر الحنون ودمه
يملأ الارض والسماء غناء وشفار الاذي تحز بعظمه

⊙ ⊙ ⊙

يا لثكلى تخاصم القدر العاتي وتشكو لربها من ظلمه
ما جنى برعمي الصغير لتجنيه وما ضر لو قنعت بشمه
كنت اخشى عليه من نفس الفجر وقطر الندى يعيث بكمه
الاني اشد منه على الدهر مراسا بدلت ثكلى بيتمه
غاب وجه الحبيب فانتقمت من وجهها تلهب القلوب بلطمه
تسال الليل عنه والليل باك مثلها فيه سائل عن نجمة
كلما ام صفحة الماء نجم من سماء الوادي تهم بلمه
وتجيل العيون في كل أفق كلما غنت العصافير باسمه
عزم الامر من له الامر يا « * فيبي » فمن ذا يرده عن عزمه
اي عين لم يقذها البين ياعم وقاب بسهمه لم يرمه
فتسلي بوهم لقياه ما للمرء عون على الردى غير وهمه

الشاعر القروي زحله ٨ أيار ١٩٦٠

رشيد سليم الخوري

* والدة البير

« الشيخ ابراهيم اليازجي »

« من رواد الصحافة المناضلين »

« ١٨٤٧ ـ ١٩٠٦ »

عزت بشور

الشيخ ابراهيم اليازجي ، احد رواد الصحافة في عصاري القرن التاسع عشر ، وحامل رسالة النضال الوطني شاعراً وثائراً ، وصانع امهات الحروف العربية . لبناني المولد ؛ بيروتي المنشأ ، عربي النزعة . غاب جسما وماغاب ذكريات فواحة الاطياب ناضل فعبد الطريق لسواه فحباه النضال فردوس الخلود .

ولد في بيروت ، في الثاني من شهر آذار من عام الف وثمانمئة وسبعة واربعين . وفي بيروت نشأ وترعرع ودرج الحداثة الى الشباب .

وقديما ، سكن آل اليازجي في مدينة حمص ، وكانوا يدينون بالمذهب الارثوذكسي . وفي اواخر القرن السابع عشر ، هاجر منهم فريق الى لبنان ، لينعم بهوائه العليل ومائه العذب النمير . وفي لبنان رغبوا في الوظيفة ، فوكل اليهم امر المكاتبات في دواوين الدولة العثمانية ، وخلعوا عليهم لقب « اليازجي » ومعناه في التركية الكاتب . وانتهى بهم المطاف الى « كفرشيما » وهناك اعتنقوا المذهب الكاثوليكي .

وفي كفر شيما ولد الشيخ ناصيف اليازجي في مطلع القرن التاسع عشر ، وهو والد الشيخ ابراهيم موضوع مقالنا .

وكفر شيما بلدة خيرة مابخلت بالنابغات والنوابغ من بنيها ولن تبخل . بلدة بعثت رسل الضاد الى الاقطار العربية ، ومن آل اليازجي والشميل وتقلا وسواهم ، كانوا نباريس هداية لها . وأني تجولنا واين مرنا في هذه البلدة لاتقع اعيننا الا على ذكرى طبيب انساني آسى بالعطف جراح المصاب ، او فيلسوف وجد الدنيا خداع سراب ، او شاعر عبقري حركت نجواه الصم الصلاب . الا حييت ياكفر شيما ، ياموطن النوابغ .

نشأ الشيخ ابراهيم وترعرع ، مابين بيروت وهذه المدينة الحالمة « كفر شيما » ولم يعل رأسه سقف مدرسه ، وانما درس على ابيه الشيخ ناصيف شاعر الامير الشهابي بشير الثاني .

واقد توسم فيه والده مخايل النجابه وهو طفل ، فتعهده بعنايته ، ورعاه بعطفه . وما كاد عوده يشتد ويقوى حتى اصبح ينظم الشعر ، ويكتب النثر ، ويناقش في كل مكان ميدان .

ونظم الشعر واكثر من نظم التواريخ ، ثم هجره وانصرف الى كتابة النثر ، وزاوله باعتناء حتى برع فيه واصبح ناثرا ممتازا ، ذا خيال طريف وسمع ظريف . ولم يمض عليه وقت طويل حتى اصبح من اساطين كتاب المقالة الادبية الذين ساروا بها الى امدها البعيد ، وابرزهم : سليم البستاني وسليم تقلا ونجيب الحداد ، ونابغة دمشق اديب اسحق . واما الذين جاؤوا بعد هؤلاء من كتاب المقالة ، فقد كتبوها فاتنة مغربة ذات عناصر جديدة ، وابرزهم جبران خليل جبران . وقد كان للمقالة الادبية الشأن الاول في عهد هؤلاء الكتاب ولهذا

نري اثرهم ظاهراً في جميع من اتوا بعدهم .

قلت لم يدخل شيخنا اليازجي مدرسة ، كان معتمدا على نفسه وعلى ارشادات والده وتوجيهاته . ولقد خلف منه اعتماده على نفسه رجلا عبقريا نابغا ، ذا شهرة طائرة ، وذا شخصية قوامها اباء وعزة نفس . وبجده واجتهاده ونشاطه ، توصل الى ان يحسن اللغة الفرنسية ويلم بالعبرية والسريانية . وكذلك بعلم الفلك ، وبالرياضيات ، وبالفقه الحنفي ، وكان يحسن الرسم والتصوير والحفر ، واليه يرجع الفضل في صنع الحروف لعمل الامهات التي تسبك عليها حروف المطابع .

وفي علم الفلك ، ناقش العلامة الفرنسي « فلامريون » . امام ذلك العلم في عصرة ، فانتزع اعجاب ملك أسوج ونروج ، فاهداه نوط العلوم والفنون ، اكراما له وتقديرا لعلمه ، كما يخبرنا عن ذلك الاديب الكبير مارون عبود .

وفي عام الف وثمانئة وسبعين ، وكان في عامه الثالث والعشرين ،

رتب الشيخ ابراهيم مجلة « الضياء » اجمل ترتيب ، فجعل فيها بابا بعنوان « لغة الجرائد » وفيه وقف رصدا على الكتاب ، يتتبع هفواتهم ، ويسدد خطواتهم ، ويرشدهم الى طريق الصواب . فصحت عباراتهم وأشرق بيانهم .

واذا ماعكفنا على دراسة نثره ، نجد انه لم يكن يتعمد المحسنات البديعية ، بل كان يكتب باسلوب العلماء والمؤرخين ، ولذلك كان الجفاف ظاهرا في اسلوبه الذي كان يبعثه احيانا مسجعا ، واحيانا مرسلا . واما مقالتاه « القمر والزهرة » فقد اظهر فيهما مقدرته في النثر الممتاز قال في وصف االزهرة :

« هي ملك جند الدجى بل قائد معسكر الانوار بل الاهة الجمال قد استوت على عرش من النضار . اذا برزت في ثوب بهائها اكفهرت لها الشمس من الحسد ، بل غشيتها حمرة الخجل بعد ما علتها صفرة الكمد . فاقبل الهلال وقد انحنى بين يديها وسجد ، واطافت بهن حور الكواكب كأنهن اتراب كواعب ، فوقفن لخدمتها متضائلات امام عظمة جلالها ، ولقد ارخين شعورهن من حولها فشبين من جمالها ، فما كادت تتجلى لهن حينا حتى توارت عنهن بالحجاب ، وسرن في اثرها متتابعات حتى برقعهن الصبح بابيض الجلباب »

وهكذا يسترسل في وصف الزهرة بهذا النثر الذى يفضل الكثير من الشعر .

ولقد عالج الامراض الاجتماعية معالجة الطبيب الماهر ، فشخص الداء ووصف الدواء .

ولكونه من اللغويين ، كان نقد اللغة احب المواضيع اليه . وفي الدراسة الادبية اجاد كل الاجادة في اعادة شرح ديوان المتنبي لوالده .

ان انشاءه لم يكن بالانشاء المنمق العالي باستثناء مقالتيه الانفتي الذكر ، وانما كان صحيح العبارة قويها ، وبذلك كان فضله على رجال النهضة ، وقد ظهرت آثار مقالتيه في انشاء الكثيرين من الكتاب الذين أتوا بعده .

واما الشعر ، فقد قاله في اغراضه المعهودة ، من مدح ورثاء شبيه بالمدح ، ومن نظم التواريخ ، مقتديا بوالده الشيخ ناصيف . وظل في نظم التواريخ سيد الموقف حتى جاء الشيخ المعلم عبد الله البستاني ، فنظم قصيدة في مدح المطران الياس الحويك ضمنها تاريخ انتخابه بطريركا ، وهي آية في المعجزات . وتواريخ شيخنا اليازجي ملأت القصور والمقابر ، واغتبط بها المواليد والازواج . ولا بد هنا من كلمة موجزة في تعريف التاريخ الشعري حيث كان رائجا في عصارى القرن التاسع عشر ، فاقول :

التاريخ الشعري عبارة عن كلمات منظومة لكل حرف من حروفها رقم حسابي ، ورصيد حروفها الابجدية يدل على السنة المقصودة . وحروف كلمات (ابجد هوز حطي) تعبر عن الاحاد من واحد الى عشرة . وحروف الكلمتين (كلمن سعفص) تعبر عن العقود من العشرين

الى التسعين . وحروف كلمات (قرشت تخذ ضظغ) تعبر عن المئات من المئة الى الالف .

ويسم التاريخ بوضع كلمة تاريخ او ما يشتق منها من لفظ قبل الـــكلمات التي تنظم لتجمع فتدل ارقام حروفها على السنة المقصودة .

وهذا التاريخ الشعري يزعم البعض ان السريان هم الذين اخذوه عن العبرانيين ، ويزعم بعضهم العكس . ويزعم الاديب الكبير مارون عبود ان نواة التاريخ الشعري هي سريانية . ويزعم آخرون ان عبد الرحمن شاكر هو الذي اخترعه . والله اعلم بالصواب .

وعـــلى كل حال لاادري الشروط الفنية في التاريخ الشعري آنذاك . ومن جملة هذه الشروط ان يكون التاريخ الشعري محتويا على نكتة طريفة ، او تورية جميلة . او آية كريمة ، او كلمة مأثورة توافق المقام . وايضاحا لذلك اورد تاريخا شعريا يشير الى الاية الكريمة « يوم تأتي السماء بدخان » نظمه احد الشعراء قديما ، مؤرخاً ظهور التبغ في البلاد ، قال :

« سألوني عن الدخان وقالوا
هل له في كـتابنا ايمـــاء »
« قلت مافرط الكتاب بشيء
ثم ارخت : يوم تأتي السماء . »

نظم شيخنا اليازجي الشعر في اغراضه المعهودة كما قلت ، من مدح وهجاء الى غزل ورثاء . وتعاطى التراسل به ، او التراشف به كما يطيب للبعض ان يسميه ، مع من تعاطوه من شعراء عصره ، من الذين اخذوا يمدحون بعضهم بعضا .

وان من يدرس شعره يجد فيه شاعرية أصيلة ، وديباجة متينة ، وخيالا جميلا . لانبو فيه ولا تعقيد . صور بارعة ، واسلوب متين جذاب . واجود شعره هو الاجتماعي الوطني الذي قاله في دعوة العرب الى ترك التشاحن الطائفي والى حضهم على الثورة في سبيل تحرير الوطن من السيطرة التركية آنذاك . وفي تلك الاونة ان بدء الوعي القومي ، فتألفت الجمعيات الوطنية لنشر العربية ، والمطالبة بحقوق العرب ، وللنهوض بالشعب العربي الى مصاف الامم الحية .

ولقد نظم قصيدتين وطنيتين شهيرتين ، علقتا على الجدران في اسواق بيروت ، وعلى واجهات الحوانيت ، فاقلقتا مضجع الوالي التركي ، فامر بانتزاعها عن الجدران وواجهات الحوانيت . ولكن جلاوزته ورجال شرطته ان استطاعوا انتزاعها عن الجدران ، فلم يستطيعوا انتزاعها عن الشفاه . فسرعان ماأصبحتا انشودتين عذبتين يرددهما كل من وعى حرفا ، وتوقد عزما . وهذه هي بعض ابيات الاولى :

« تنبهوا واستفيقوا ايهـــا العـــرب
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب »
« فيم التعلل بالامال تخدعـــكم
وانتم بـين راحات القنا سلب »
« كم تظلمون ولستم تشتكون وكم
تستغضبون فلا يبدو لكم غضب »
« ألستم من سطوا في الارض واقتحموا
شـــرقاً وغربا وغزوا اينما ذهبوا »
« فما لـكم ويحكم اصبحتم هملا
ووجه عزكم وبالهون منتقب »
« لا دولة لكم يشتد ازركم
بها ولا ناصـر للخطب ينتدب »
« اقداركم في عيون الترك نازلة
وحقكم بين ايدي الترك مغتصب »
« خلوا التعصب عنكم واستووا عصبا
على الوئام لدفـع الظـلم نعتصب »
« هذا الذي قد رمى بالضعف قوتكم
« وغادر الشمل منكم وهو منشعب
« بالله ياقومنا هبوا لشأنـــكم
فكم تناديكم الاشعار والخطب »

ان هذه القصيدة اثارت النخوة في النفوس ، لما تنطوي ابياتها على استنهاض الهمم ، وعلى الدعوة الصريحة الى الثورة على الاتراك الذين ارادوا القضاء على الروح العربية .

واما القصيدة الثانية فهذه هي بعض ابياتها ايضا قال :

« دع مجلس الغيد الاوانس
وهوى لواحظها النواعس »

« اين النعيم لمن يبيت
على بساط الذل جالس »

« ولمن تباع حقوقه
ودماؤه بيع الخسائس »

« ولمن يرى اوطانه
خربا كأطلال دوارس »

« فالترك قوم لا يفوز
لديهم الا المشاكس »

« او لستم العرب الكرام
ومن هم شم المعاطس »

« فاستوقدوا لقتالهم
نارا تروع كل قابس »

« بها طاب التبسم
للوغى والموت عابس »

« وحلا بها سفك الدماء
فسفكها للجور حابس »

ومن دراسة هاتين القصيدتين ، نجد ان الاولى متينة القافية ، قوية الكلمات ، ونجد ان الثانية عذبة النغم ، بارعة الاسترسال ، متدفقة عذوبة ورقة .

ولكم اثارت هاتان القصيدتان النخوة في النفوس .

عصف شيخنا اليازجي بالظلم التركي عصفا ، وقارع الطغيان مقارعة ، وزين النضال ، في عيون ابناء الامة فهبوا الى النضال للتخلص من كابوس الاستبداد والارهاب والطغيان ، وليعيشوا مستقلين اعزاء الجانب بغير الاجانب .

هذه كلمة موجزة عن شيخنا اليازجي الذي قضى نحبه في القاهرة بداء السرطان ، في السابع والعشرين من شهر شباط من عام الف وتسعمائة وستة ، ودفن فيها ، وقد مات عزبا ، رحمات المولى عليه .

وبعد وفاته بسبعة اعوام نقل اللبنانيون رفاته الى بيروت اكراما له واعترافا بفضله ، واقاموا له تمثالا رفع الستار عنه في حفلة كبرى ، وفيها انشد شاعر العصر الخالد خليل مطران رائعته التي يقول في مطلعها :

« رب البيان وسيد القلم
وفيت قسطك للعلى فنم »

نعم ياشيخنا اليازجي ، وفيت قسطك للعلى فنم قرير العين هانيها ، ورحمك الله يامن عشت وطيد الايمان بفلاح العرب . غبت جسما ولم تغب ضياء ينير طرقاتنا ، لقد كنت للعرب كالمنارة الملاح . ويكفيك فخرا ان تاريخك المضمخ بالطيب جهاد لرفع شأن العروبة .

صافيتا — عزة بشور

الوجهة التربوية للكلمة العربية

بقلم : زكي الأرسوزي



في عدة مقالات سبقت تحدثنا عن ثلاث مزايا للكلمة العربية : الفلسفية والاخلاقية والشعرية فقلنا فيما يتعلق بالوجهة الفلسفية للكلمة العربية : ان الكلمات المختصة بالشؤون الانسانية توحي بتجربة الحياة الاولى كما تجلت عفو الخاطر لاجدادنا ، على مثال اشراق الالهام على نفس الفنان ، حتى لكأني بلغتنا معجم نظمته الحياة ، وان هذه الكلمات الموضوعة بتعاون بين الفرد والعناية تنزع الى صيغ هي بمثابة المثل ، فتوجه الذهن بنزعتها المثالية الى ابلاغ كل شيء كماله ، نزعة تدعم النفس في ميلها الى الواجب والاصلاح ، وان المعاني التي توحيها كلماتنا ليست مجردة فتبقى طافية على سطح الوجدان كما تطفو الاوراق المنفصمة عن اغصانها على سطح الماء ، بل انها مكتسية بحلة من الشعر (البيان الصوتي المرئي) تجعلها حية ذات جذور في صميم الوجدان .

ونتحدث الان عن مزية رابعة للكلمة العربية وهي طابع هذه الكلمة التربوي . ونحن نعني بالتربوي المعنى المتضمن من الكلمة اي معنى النحو : ربا يربو . ان الانسان مزدوج الطبيعة شعور وجسد فمن حيث هو جسد ينمو بالقوت ، بالغذاء الذي يتمثله لبنيته فيساعده على انكشاف ماضمر في مصور حياته من استعدادات ، ومن حيث شعور ينمو بالوعي ، باتصال الذهن بالحقيقة والحقيقة من النفس بمثابة القوت من الجسد .

تبدأ الحياة بانشاء مظاهرها سليقة ثم تتأمل في ما انشئت فترفع به عن مستوى الغريزة الى صعيد الوجدان . وبهذا الصعود ينتقل الانسان من عهد العرف (الناموس) الى عهد المعاني (روح القدس) منبعثة من اعماق النفس . وعندئذ تبلغ الحياة في الانسان سن الاستواء من الازدهار بالمعاني كما تبلغ الشجرة كمالها بالزهر .

ان العودة بالتأمل الى ما نسجت الحياة عفواً من عرف ولغة اثرا آخر لايقل عن ازكاء الشعور وايصاله الى مستوى الابداع والعبقرية الا وهو : الانسجام مع عبقرية الامة نفسها ، وهل للبعث معنى آخر غير هذا المعنى و كم نحن مفتقرون لان تكون استجابتنا للاوضاع المستجدة وللمعاني المستحدثة استجابة صادقة تجعل قواعد حياتنا وكلماتنا مستوفية شروط نهضتنا ولاسيما قد اصبح الاختلاف بيننا وبين اجدادنا في استعمال اللغة مماثلا للاختلاف بين من يدرس تشريح اليد ليتعرف على حركاته (معرفة خارجية) وبين من يحرك اعضائه (اليد مثلا) بالبداهة الطبيعية .

وكيف نوقظ الشعور ونجعل الانسجام بين الشعور المستيقظ وبين عبقرية امتنا فنؤكد بعثنا بعثا تصبح فيه استجابتنا لمنبهات البيئة استجابة اصيلة ؟

لقد جرت العادة في استعمال المعجم عندنا ان يرجع الى الفعل مصدر الاشتقاق في تعيين معنى الكلمة كارجاع كلمة « خارق » الى فعل « خرق » مثلا . في هذا الاستعمال قسط من الوعي يظهر تفوق لغتنا في تأثيرها على اللغات الاخرى . ولقد جرت العادة ايضا على تعيين اعراب الكلمة على الفتح او الضم او الكسر بناء على وظيفتها في الجملة ، لا على موقفها فيها . وذلك يزكي الشعور ايما ازكاء

ولكن فقهائنا في اللغة ، لم يستنفدوا جميع الامكانيات التربوية المتضمنة في دراسة لغتنا . لم يشر المعجم الى العلاقة بين فعل « خرق » وبين افعال خرب ، خرج ، حزم ، حزع .. الخ ولا الى العلاقة بين الافعال المذكورة وبين ارومتها التي هي صوت خر الماء خريرا مظهرين الحدس والخيال المرئي الذي اسندت اليه الحياة في ايجاد الكلمات .

هذا ، وان النحو لايشير الى الاسباب التي جعلت الفاعل والفعل المضارع متحركين على الضم ،ولالاسباب التي جعلت المفعول والفعل الماضي ان يكونا متحركين على الفتح ، مما دعا بعض المغفلين المطالبة بالاستغناءعن الاعراب كمن يجدع اذنية لانه لم يعرف وظيفتها في حياة الجسد .

مع انه لو تتبع الفقهاء الافعال في تسلسلها حتى الارومة ، ولو لاحظوا ماهو مشترك بينها من صوت (خر) ومن خيال هو هنا خيال تأثير الماء في مجراه خربا ، خروجا ، خرداً ، خرقا لوقاموا بذلك لادركوا نشوء اللغة من مصادرها في الطبيعة .

وأما الحركات والحروف فهي امتداد علاقة بين العبارة والشعور فيالهيجان ، فكما ان للغضب او للفرح عبارته ، فكذلك لكل صوت يحدث في الفم معناه هو صدى حدوثه في النفس ، صدى حدوث الضمة — مثلا — الفعالية فهي تعبر عنها اينما وجدت ، في صلب الكلمة اوفي آخرها . واليك بعضا مما ورد في صدد نشوء لغتنا في رسالتنا اللغة والفن : « ان العبقرية العربية قد استندت في انشائها اداة بيانها الى المداد المنطوي في الصور الذهنية والى تعديل مظاهر الحياة المختلفة بالصوت الذي هو طوع ارادتها وبالرؤية التي هي ذات تلون ودقة . وهل يختلف نهـــج العبقرية العزبية هذا عن نهج الحياة اذ هي تعدل حركة الفم العضلية بالصوت والصوت بالرؤية . منتقلة بهذا التعديل الى مداد آخذ بالدقة : مداداً تقصدية الجهد اللازم لانشاء درجات صعودها نحو انسانية متكاملة .

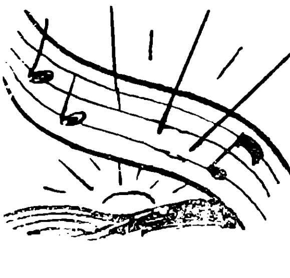
« ان اللسان العربي بمبدئه المعنى وبتجلياته الاصوات على غرار شجرة سحرية جذورها في الملأ الاعلى وتجلياتها في الطبيعة . والحالةهذه ان مايجب علينا ان نبدأ بعثنا القومي ببعث كلامنا وان نحذر على حرجنا المقدس هذا من الدخلاء على بيئتنا »

ونحن نستخلص من ذلك ان دراسة لغتنا تستلزم سلوك الذهن اتجاهين : اتجاه اللفظة او الصوت واتجاه المعنى . فاما اتجـاه الصوت فيتناول اولا مبحث الاصول . وبه ترجع الكلمات بالاشتقاق الى الاصوات الطبيعيه ، خارجية كانت كفق فقفق الماء ، او أنسانية ك « أن انيناً » ، وثانيا مبحث البيان وبه تتعين حدود النظام الصوتي في الكلمة . ويتناول هذا البحث التصريف والاعلال والادغام والابدال .

واما اتجـاه المعنى ، فينبغي ان يتناول :

الحدس او المصمم الذي تكشف عن وجهاته المختلفة الكلمات المشتقة من المصدر ذاته ، سواء كانت صورة حسية او مفاهيم مجردة ، وثانياً امر تعيين ماكان لتداعي الصور في ظروف تاريخية مختلفة من تأثير على ايجاد عدد عظيم من المشتقات ، وثالثاً امر الكشف عن مغزى القواعد النحوية مغزى تنضح به العقلية العربية عن مراميها في الحياة .

زكي الارسوزي



الشكل والمضمون في الادب

بقلم : الدكتور محمد حاج حسين

من العبث ان نتلمس الناقد الممتاز في ادبنا اذا لم يكن لنا ادب عظيم ، فالناقد بخلقه الانتاج الفني الخصيب لانه يتيح له عوالم حية كلها جدة وطرافة يجوس خلالها ويقص اثرها ويبلور روحه فيها . فرسالة الناقد ان يجعل العمل الفني موازاً بالحياة ليستجيب له القاريء ويتذوقه ويعيش في صميمه . ولهذا لابد للناقد ان يكون ذا موهبة حساسة تحس كل دقيقة وجليلة في العمل الفني ، والا جاء نقده خاوياً متعثراً لاغناء فيه . ومع هذه الموهبة يجب ان تتوفر له ثقافة مستفيضة ، واطلاع شامل على الاداب العالمية ليتسنى له ان « يقوم » بدقة الاثر الفني الذي يدرسه .

والخصومة بين النقاد والادباء موغلة في القدم ، قد يكون مرجعها الى اليوم الذي وجد فيه النقد ، فالفنان بطبيعته نزاع الى تقديس كل مايصدر عنه ، يرى فيه الكمال .

وقديما قيل لابي تمام لم لا تطرح الرديء من شعرك ؟ فأجاب : ان شعر الشاعر كأولاده فيهم الجميل والقبيح ، والصحيح والمعتل ، وكلهم حبيب اليه . فحساسية الاديب بالغة نحو اثاره . ومن الطبيعي ان يثور اذا اعنف به النقد ، فالشاعر بيرون يقول : ان كل ناقد كلب . والادباء يتهمون النقاد بانهم ارادوا ان يكونوا أدباء ولكنهم خابوا في انتاجهم ، ففزعوا الى النقد سدا لهذا النقص الذي يعتمل في نفوسهم من جراء فشلهم الذريع ، والحق ان النقد ضروري لكل ادب لأنه يبصر الاديب بنواحي ضعفه ، هذا اذا سلم النقد من التحامل والمجاملة ، واخلص الناقد لرسالته ، وكان على مستوى كبير من الحساسية والذكاء والثقافة .

ونلاحظ في ايامنا الحاضرة نهضة نقدية هائلة كادت تطغي على الانتاج الادبي لاسيما في الاقليم الجنوبي من جمهوريتنا ، حيث كثر النقد ، وغزر الحديث عن نظرياته المتباينة حتى رأينا جمعيتين للنقاد دعت كل منهما الى مذهب معني في الادب ، الفن للفن ، والفن للحياة . واذاع كل من هذين الفريقين آراءهما في ندوات ادبية ، وفي الصحف ، وفي الاذاعة ، ولج الجدل بينهما حتى اتخذت بعض الصحف من الناقد الانكليزي اليوت الذي كثر تردد اسمه على السنة النقاد مادة لصور كاريكتوريه ضاحكة .

ومن التعابير التي وردت على السنة هؤلاء النقاد . « الشكل والمضمون » في الادب .. وهكذا جزأوا الاثر الادبي الى لونين : الشكل والمضمون . وثارت المناقشة بينهم حول هذا ، وكثر الاخذ والرد فيه فبعضهم يرى ان الشكل يجب ان يقوم على اسلوب عربي الديباجة ، وذهب فريق الى ان الاديب يجب ان يخاطب الشعب بلغة يفهمها ، وجنح البعض الآخر الى المبالغة ، فأراد ان تسود العامية الانتاج الادبي ، ليستطيع الاديب ان يعبر بصدق عن لغة الشعب التي يتحدث بها حتى لايكون هنالك انفصام بين الادب ولغة الناس ، وتوسطت جماعة اخرى ، فرت ان يكون حوار القصص باللغة العامية ليكون صادقاً في تصوير الشخصيات ، ومنازعهم النفسية ، واشواقهم الروحية .

وكذلك نشب الخلاف بينهم حول المضمون او المحتوم كما يسمونه احياناً . فبعض النقاد دعا الى ان يكون فنياً محضاً ، بعيداً عن كل التزام متساويتين مع نظرية الفن للفن التي دعا اليها اوسكار وايلد ، لان الفنان كاهن في معبد

الجمال لا علاقة له بالدعوات السياسية اما الفريق الآخر من النقاد، فرأى باصرار ان يكون المضمون هادفاً او ملتزماً لانهم امنوا بوجود علاقة تامـــة بين القضايا الاجتماعية، الامور الاقتصاديـــة التي يجب ان تكون مادة الموضوع، وبين الادب الواقعي الذي يجب ان يستلهم الحياة، فالاديب يجب الا ينعزل في برجه العاجي، بعيداً عن تيارات العصر، ومشاكل المجتمع.

واشتد الجدل بين هؤلاء النقاد حول هذه المســـألة وادلى كل منهم بدلوه معتمداً على مزاجـــه الخاص، واستعداده الفطري، وثقافته ومذهبه الخاص في الحياة.

والنقاد العرب القدامى جزأوا الاثر الادبي ايضاً الى قسمين كما فعل المحدثون؛ الاسلوب والمعنى. ورأوا ان الاثر الادبي يحتوي على اسلوب ومعنى. وتناقشوا في اهمية كل من هذين العنصرين، ورأى بعضهم ان الاسلوب هو الاهم لان المعاني مطروحة في كل مكان يلتقطها العربي ويستطيع ان يستعملها، ويستغلها. وحدد بعضهم منازع الاسلوب، فالغزل يجب ان يكون رقيق الالفاظ، دمث التعابير، والمديح يجب ان يكون جزل اللفظ، فخم التعبير، وما شاكل من هذه التحديدات التي لاغناء فيها لانها تحبس الاديب في قوقعة من الالفاظ. واهتم كذلك بعض النقاد القدمـــاء بالمعاني، وآثروها على الاسلوب، ومن هنا جاءت هـــذه الابحاث الطويلة في السرقات الشعرية، فلم يتركوا شاعراً كبيراً لا والصقوا به هذه الفرية، ولهـــذا كان عدد الافكار الجديدة محدودة، فابن الرومي وهو الشاعر الذي اشتهر بتوليد المعاني عدوا له بضعة معاني مبتكرة. وابو تمام الذي برع في استنباط المعنى، ودقته لم يجـــدوا له سوى الضئيل من المعاني التي استطاع ان يبدعها. وهذه النظرية قامت على خطل، وعدم فهم للاصول الادبية، فجاءت كسيرة الجناح لامعنى لها.. لان الفنان يسكب نفسه، ويعصر روحه في الموضوع الذي يستلهمه، ولهذا كل موضوع لديه جديـــد، مهما عولج من قبل، لان خياله الخالق، وشخصيته تجعلانه حاصا به فيأتي مليئاً بالجدة. فليس معنى الابتكار في الادب ان لم تأتي بأشياء جديدة يعرفها البشر من قبل لان هـــذا ضرب من الاستحالة.. وقديماً تأسف الكاتب الفرنسي «لابرويار» لانه جاء متأخرا - في القرن السابع عشر - مضت على حد قوله سبعة آلاف سنة، والناس يكتبون، فلم يتركوا جديداً يقوله. والحق ان كل شيء يتجدد. فالفنان بالهامه ودفق عاطفته وخياله يجعل كل موضوع جديداً. والنقاد يرون ان اقوى شاعر مبتكر في الادب الفرنسي هو لافونتين صاحب الحكايات على ألسنة الحيوان المشهورة ففي اشعاره تجد روح فرنسا وفيها كل الطرافة والجدة لان خياله، وتصويره لها جعلها خاصة رغم انه كان يستقي مواضيعها من مصادر شتى.. حتى انه لم يبتكر من عنده سوى بضع حكايات، لان الادب خلق تخيلي قبل كل شيء فيه مجـــال لا حدود له للابداع فيما اذا كان الفنان موهوباً.

وهكذا نرى ان نقادنا القدماء والمحدثين جزأوا الاثر الادبي، وان كان كل منهم نظر من زاوية خاصة وبروح جديدة. ومرد هذا الى تطور الحياة، والثقافة والمجتمع. والذي اعتقده ان هذا التقسيم خال من كل معنى، وغير ذي موضوع. فالاثر الفني لا يتجزأ ملقطاً.. ومن العبث ان نرى فيه هذين العنصرين، لان في هذا تمزيقاً له، وبعثرة لروحه. وهو وحدة كاملة متناسقة. والناقـد يحتاج الى التخصص العميق، والفكر الدقيق، الذي ينفذ الى علم الجمال ليتسنى له ان ينظر الى الانتاج الفني ككل متماسك. لان الاسلوب والفكر شيء واحد.. ويستحيل ان نفرق بينهما، فالاسلوب يعروه الاضطراب والوهن اذا لم تكن الفكرة ملتحمة معه فيها الانسجام والتوافق. فالفنان عندما يخلق مخلوقاته الفنية تأتي تامة الولادة، فيها تناسق رائع بين اسلوبه وفكرته حتى يستحيلا الى وحدة كاملة لايمكن فصمها. ولهذا فالفكرة التي تعيش في ذهن الفنان واضحة تكتبها بوضوح. فالابداع لايعرف هذه الجزئيات، انما يفيض من صاحبه كما يفيض الضوء من الشمس بلا تكلف اوتعمل.

ويقول الشاعر الفرنسي لامرتين ان ريشتي هي التي تفكر لي. ومعنى هذا ان الافكار تحيا في ذهنه، وتشربها

روحه ، وتنطلق في افياء نفسه ، ثم يكتبها كاملة . لايمكن ان ننفذ اليها من ناحية الاسلوب او المضمون . فلا مرتين عندما يشدو تغني افكاره باسلوبه الخاص في وحدة تامة لامجال للناقد ان يحللها الى شكل ومضمون لانه يقتلها وكل مهمته ان يقوبها الينا لنتذوقها ، ونرى مواطن الجمال والضعف فيها ، ونشارك الشاعر التجربة الحية التي عاناها . ولهذا ذهب كثير من الفنانين الملهمين الى ان النقد لامعنى له ، لان انتاج الفنان من عمل العبقرية ولايجوز للنقاد أن يجرحوا عملها .

والحق ان البحث في الشكل والمضمون في الاعمال الفنية الممتازة لامعنى له لان الذين يخلقونها يأتون بها وحدة تامة متحدة العناصر ، فهم عندما يكتبونها يكونون في عالم يموج بالالهام ، وتحتدم به الاشواق الروحية ذات الصفاء العجيب ، فتأتي محملة بهذه الانداء العجيبة التي تلذها الروح ، وتنهل منها النفس تلك الافاويق السحرية .

ان الفنان عندما يبدع آثاره لا يفكر في الشكل والمضمون اللذين يجب ان تكون فيهما مخلوقاته .. فهي تنبثق منه نامية حية كما ينبعث الشذا من الزهرة . ولهذا فلا ضرورة ان نلزم الاديب في موضوعات معينة او لا نلزمه فيها . انه حر في الهامة وكل مانطالبه به ان يبدع لنا آثاراً قوية أخاذة . فيها الجمال والتدفق .. والمهم في هذا كله ان يكتب الفنان الاشياء التي يحس بها .. فاذا كانت طبيعته تدفعة الى الالتزام ، فاننا نرحب به لان ادبه سيأتي عملاقاً فيه قوة الحياة نفسها ، وذلك لان طبيعته تنسجم مع هذا الادب الهادف الذي يثير مشاعرنا، ويدفعنا قدماً الى الحياة .. لانه احسن الموضوعات التي كتبها ، وعاش في صميمها ، واذا كانت طبيعته لاتتلائم مع هذا الالتزام فلا يجب ان نقسره عليه .. لنفسح له المجال لابداع الموضوعات التي يحسها ، وكلها في الواقع تغني الحياة . لان كل اديب حر في اعماله الادبية على شريطه ان تتوافق مع طبيعته ، وتصدر بدون تكلف ، اي لايتقصد ان يلتزم او لا يلتزم حتى لايأتي انتاجه كابياً متعثراً .. لنترك للفنان حريته الكاملة في شتى الموضوعات لان الحياة غنية بمختلف التيارات التي تستحق المعالجة ، فالكتابة عن الحب مثلا لاتقل عن الكتابة في وصف الطبقة الفقيرة لتحطيم فقرها والنهوض بها .. فكلاهما تحتاجه الحياة ، وكلاهما يغني احاسيسنا . والمهم في هذا كله ان تصدر هذه الموضوعات عن صاحبها دون تكلف لايتقصدها ، ولا يذهب الى وجوب كتابتها ليرضي فئة من النقاد والقراء . ان الادب الصحيح لايتعرف الى الى هذا ، وسواء كان هادفا او غير هادف سيوثر فينا حتما مادام ينبع عن تجربة صادقة ، ووعي صحيح .

ان ولادة الانسان تأتي تافه ، فالروح تختلج في الجسد ولانستطيع ان نفصلها عنه لان معنى هذا الموت . وكذلك الادب يموت اذا فصلت الفكر عن الاسلوب . وكان فيكتور هيجو عندما ينظم بعض شعره تتراقص امامه ملائكه على الورق ، يراها ، ويصغي لحفيف اجنحتها ويتملى رؤيتها الوديعة ، فيندفع منه الالهام الحي .. وكذلك الشاعر الصوفي الانكليزي وليم بلايك الذي تأثره جبران خليل جبران ، يزعم انه يرى ملائكة لطيفة تناجيه ، وهو جالس في الغاب ، فيصغي لنجواها ، ويبدع اشعاره الحية على انغامها العذبة .

ومما لاشك فيه ان هذين الشاعرين العظيمين صادقان في هذا الادعاء البعيد لان الشاعر عندما يبدع شعره يخيل اليه انه يأتيه من عالم وضيء حافل بالرؤى الجميلة ، فتنثال الصور والتعابير والمضمون على الورق ، في اتحاد وثيق لتؤلف شعراً ممتدحا بالحياة ، ومحملا بصحائف نفسه واجزاء روحه التي يعمدها في هذا اللهب المقدس الذي ينفحنا بهذا الفيض من الجمال الذي يسبه اللب .

وصفوة القول ان الاثر الادبي وحدة كاملة لا انفصام لها ، وتقسيمها الى شكل ومضمون ، وتحديدهم خواء بعيد عن كل معنى ، فالفكر والاسلوب شيء واحد .. والاديب الجدير بهذا الاسم يخلق اثراً فنيا كاملا فيه غناء للانسانية سواء كان ملتزماً اوغير ملتزم .

محمد حاج حسين



يجري سحب الاصدار الشعبي الرابع والعشرين في مدينة دمشق

بتاريخ **١٣** ايلول **١٩٦١**

غرفة الحبيب

شعر ..

الصافي النجفي

قد زرت غرفة من احب اذا بها … كل الاثاث ، احبه ويحبني
فغدوت الثم كل ما شاهدته … واضمه لجوانحي ويضمني
اما السرير فعدت منه بغيرة … حتى طفقت اسبه ويسبني
وسكبت آهاتي عليه وقلت : قد … (احرقت دينك) مثلما احرقتني
بعض الاثاث ينال حظ سويعة … من لمسه والبعض حظ الاعين
امـا السـرير فناعم بعناية … طوال الدجى يحنو عليه وينحني



انا لا اري مثل السرير لاغيد … من عاشق بغرامه متضنن
فغدوت اوجعه بضرب موجع … لا نامـلي واشـده فيردني
اما الحبيب فكان يضحك قائلا لي : هل جننت ؟ فقلت : قد جننتني
هذا السرير من الجماد وصلته … وانا اخو الحس الرقيق حرمتني
خذ ساعدي لك ياحبيب وسادة … ودع الورود اشمها وتشمني
وخذ الجوانح ان اردت اريكة … او نم على الاحشاء اوفي الاعين
ما غرفة المحبوب الا جنة … وطريقها انى يمر ويمشي

الصافي النجفي

وجهي الكئيب

قصة تعريب : جورج سالم

قصة الكاتب الهزلي الالماني
هنريخ بل
نقلها الى العربية جورج سالم

كنت في المرفأ انظر الى تجوال طيور النورس حين لفت وجهي الكئيب انتباه احد رجال الشرطة وكان يقوم بجولة في المنطقة . كنت مستغرقاً في تأمل هذه الطيور التي تحوم باحثة عما تأكله : فكانت تعلو فجأة ثم لاتلبث ان تهبط يائسة . كان المرفأ مهجوراً ، والماء لزجاً يضرب لونه الى الاخضرار ، وكان الزيت المتسخ يشكل بقعة من الارض تسبح فيها شتى انواع الفضلات لم يكن ثمة أية باخرة . بل كانت الروافع قد صدئت والمستودعات قد تهدمت ، حتى ان الجرذان نفسها لم تكن لتجذبها الخرائب السود القائمة فوق الشاطيء . لم يكن يسمع اية جلبة ، ذلك العلاقات الخارجية كانت قد قطعت منذ اعوام مضت .

وتعلق نظري باحد النوارس ، فرحت اتأمله في ذهابه وايابه كان يمس المـاء اغلب الاحيان كأنه في اضطرابه حمامة تدافع العاصفة ، ولكنه كان يجرؤ بعض الاحيان على التحليق ، فيلتحق في مسيره بباقي اخوته وهو يرسل صرخة حادة . ولو كان لي ان اتمنى امنية ما ، لتمنيت شيئاً من الخبز اوزعه عليها ، فقد كان للفتات ، وان يكن صغيراً ابيض ، ان يحدد لطيرانها الحائر هدفاً ، وينظمها ، كأنه شبكة من الخيوط تمدها يد الانسان . لاشك انى كنت انا ايضاً جائعاً ومتعباً . ولكني كنت سعيداً رغم كآبتي . فما يسعدني ان أبث هنا ويداي في جيبي انظر الى هذه الطيور واستسلم للكآبة .

ولكن يد الادارة امتـــدت فجأة الى كتفي ، وسمعت صوتا يقول :

— اتبعني !

صفعتني هذه اليد وهي تحاول ان تجرني ، فقاومتها وتملصت منها ، ثم قلت بهدوء :

— انت مجنون .

فقال الرجل الذي كان لايزال غير مرئي :

— حذار ايها الرفيق .

فأجبته :

— سيـــدي .

فصرخ غاضباً :

— ليس هناك سادة ، فنحن جميعا رفقاء .

وانتصب آنذاك قربي ، وتفحصني بالحـــاح حتى قطعت عليه نظرتي بطالته الســـعيدة : فغاص في زوج من العيون الشريفة . كان لهذا الرجل وقار دابة لم تأكل منذ اعوام طويلة الا نوعاً واحــــداً من العلف : الواجب اليومي .

وتجرأت ان اسأله :

— ومالسبب ؟

فقال :

— السبب كاف جداً : ان وجهك لكئيب .

فقهقهت :

— لاتضحك !

كان غضبه حقيقياً . لقد خيل لي اول الامر انه ما يضجره انـــه لم يستطيع ان يلقي القبض على بعض البغايا اللواتي لايحملن رخصة ، او على بحار متسكع او محتال او لص ، ولكن لا ، لقد كان الامر جداً وكان في نيته ان يوقفني .

– تعال !

سألته بهدوء :

– لماذا ؟

وقبل ان اتمكن من القيام بأية حركـــة كانت يدي قد احيطت بقيد صغير : لقد انتهى الامــــر ، وادركت ذلك فوراً . فالتفت المــــرة الاخيرة نحو النوارس التائهة ، والسماء الجميلة الفضية ، حاولت ان ارمي بنفسي في الماء بقفزه مفاجئة ، اذ كنت افضل ان اموت وحيداً في هذا السائل الآسن على ان اختنق برافقتهم في مسالكهم ، او بالعودة الى السجن ، ولكن الشرطي اعادني اليه بحركة سريعة منـــه . ولم يكن ثمة من سبيل للهروب .

سألته مرة ثانية :

– ولمـــاذا ؟

– ان هناك قانونا يقضي بأن تكون سعيداً .

فصرخت :

– انا سعيد !

قال وهو يرفع رأسه :

– ان وجهك كئيب . .

فاحتججت قائلا

– هذا قانون جديد .

– لقد ظهر منذ ست وثلاثين ساعة وانت تعلم ان كل قانون يصبح سارياً بعد اعلانه بأربـع وعشرين ساعـــة .

– ولكنني اجهل هذا القانون .

– ان الجهل لايصرف عنك العقوبة . لقد اعلن هذا القانون للشعب قبل البارحة عن طريق جميـع مكبرات الصوت والصحف . اما الذين لايفيدون من خدمات الصحف والراديو – ورمقني بنظرة احتقار – فقد اوزعت في جميـع شوارع « الرايخ » نشرات في هذا الموضوع ايها الرفيق ، ستري جيداً اين امضيت آخر ست وثلاثين ساعة .

وقادني ، لم اكن قد شعرت حتى ذلك الحين بأن الجو بارد ، وبأن ليس لدي معطف ، وبأن جوعي الملحاح كان يزمجر في اعماق معدتي ، وفي هذه اللحظة ادركت ايضاً انني متسخ الجسم ، غير حليق الذقن ، بمزق الثياب ، وان هذه الاشياء ليست في صالحي ، فهناك قوانين ، تجبر كل الرفقاء ان يكونوا نظيفين وحليقين ، سعداء وشباعا . دفعني الشرطي امامه كأنني « لعين » يجب ان يفارق موطن احلامه ليمضي الى اطراف الحقول وقد اقتنع بقدرته على الطيران . كانت الطرقات مقفرة والمخفر قريباً كنت . قد توقعت ان يجدوا طريقه ليلقوا القبض على من جديد . ولكني كنت آنذاك حزين القلب ، وانا اجتاز الحي الذي امضيت فيه طفولتي ، وقد كنت عقدت العزم على رؤيته بعد زيارتي للمرفأ : لقد اختفت البساتين التي كانت فيما مضى مليئة بالحشائش وجميلة بالفوضى التى تعمها ، وبمسالكها المغطاة بالعشب . كان كل شيء قد سوي ونظف وقص في زوايا مستقيمة وكانت جمعيات وطنيـة تأتي الى البستان ايام الاثنين والاربعاء والسبت لتتمرن على العرض . كانت السماء والهواء وحدهما يذكرانني بالايام المنصرمة بالايام السعيدة التي كان قلبي فيها يقتات بالاحلام .

لمحت هنا وهناك خلال مروري ، ان عدة مؤسسات للغرام قامت على جوانب العلم الرسمي الموضوع لارشاد الذين سيفيدون هذا الاربعاء من منح الصحة الجنسية ، كانت هناك أيضاً عدة مقاهي تتزين برمز جديد المشروبات كما كانت عدة مقاهي قـد تزينت بشارات المشروب الجديد وهي عبارة عن كائن من المعدن ذي خطوط ملونة بالوان « الرايخ » اسمر فاتح ، اسمر قاتم واسمر فاتح . واغلب الظن ان الفرح كان يغني في قلب الذين راحوا يرشفون البيرة التي وهبتها الدولة للمواطنين ممن ظهرت اسماؤهم في اللائحة الرسمية .

كان كل الناس اللذين تقابلهم يتنفسون الحية . فقد كانوا وكأنما احاط بهم سائل خفيف يشهد بجدهم في العمل . وكان منظر الشرطي يزيد في شحذ عزائمهم : فكانوا يحثون خطاهم ، ويتخذون مظهر المواطنين الشاعرين بواجبهم اعمق الشعور . وكانت النسوة اللواتي يخرجن من الحوانيت يجهدن في ان يلبسن تعبير الفرح الذي طلب اليهن الظهور فيه : فقد كان محتما عليهن ان يكن فرحات ، باشات اذ يظهرن مهارتهن في الطهي فيرفهن بغذاء طيب عن الرجال الذين يعملون في خدمة الدولة .

كانت النسوة يتجنبن الاقتراب منها بمهارة . وكانت ظلال الحياة التي تنبجس لاتلبث ان تختفي بمجرد ان تقترب منها بمسافة عشرين خطوة . فكانت احداهن تدخل متجراً من المخازن ، وكانت الاخرى تستدير نحو احدى زوايا الشوارع او تتسلل الى بناية ما . حيث تنتظر ، والقلب واجب ، ان تبتعد خطواتنا .

والتقينا مرة ، في ملتقى الطرق ، برجل من عمرنا ، وكان يحمل ، فيما بدا لي ، شارة المعلمين . فلم يسعفه الوقت في الهرب منا ، فلما حيا الشرطي تحية نظامية (وذلك بأن ضرب على رأسه ثلاث ضربات علامة على الخضوع التام) اجتهد كل الاجتهاد في ان يتم واجبه المدني الذي يحتم عليه ان يبصق على وجهي ثلاث مرات وهو يتهمني « بالخائن القذر » صوب ذلك نحوي تصويباً جيداً ، ولكن حرارة النهار خففت البصاق فلم يصبنى منه الا بعض الرذاذ الصغير واردت بحركة آلية ان امسح الرذاذ بكمي . وجاءت العقوبة لبطه على مؤخرتي ، ولكمة في منتصف عمودي الفقري . قال الشرطي بصوت هادىء « هذه هي المرحلة الاولى » وكان يعني بهذا انه يطبق اخف العقوبات التي كان لكل شرطي الحق في ان يستعملها .

كان المعلم قد ابتعد مسرعاً ، وتمكن بقية المارين من تجنبنا ، ومع هذا فقد كانت هناك امرأة تستنشق الهواء امام احدى (مؤسسات الغرام) وكان من المحتم ان يسبق هذا التمرين افراح المساء . وارسلت الي احدى النساء قبلة بيدها وكانت شقراء اللون متورمة ، فعبرت لها بابتسامة عن عرفاني لجميلها . فتظاهر الشرطي بأنه لم ير شيئاً البتة . ذلك بانهم كانوا يحرصون على ان يمنحوا اولئك النساء اللواتي كن ، لاشك ، يستحقن العقوبات الكبيرة قبل اي رفيق آخر ، شيئاً من الحرية فتركوهن على هامش القوانين لانهن كن يساعدن على زيادة البشاشة في العمل بشكل مرموق . وكان هذا الامتياز قد اعده الاستاذ لوبتو الحامل دبلوم الدولة في العلوم الفلسفية والحائز على ثلاث شهادات دكتوراه ، واحد اعضاء جهاز الفلاسفة الرسمي . كان هذا يقول : « ان الطريق المفتوح على التحرر العسكري لهو امتياز ذو اهمية كبرى ! » . كنت قد رأيت هذه المقالة ، امس ، حين جئت المدينة . واذتوقفت في غرفة في بعض الحقول فرأيت بعض صفحات الجريدة المزعومة ، المحلاة بملاحظات عميقة وربما كان المؤلف ، وهو رجل زنديق ، بارع في الاملاء ابناً للمزارع الذي رأيته ...

كان الوقت قد ازف لان نصل الى المركز ، فصافرات العمل تجأر ، والطرق على وشك ان تمتلىء بموجة من العمال الذين تتسم وجوههم بفرح معتدل (وهذا الفرح يوضع فقط اثناء الخروج من المكاتب ، اما النشوة والاغاني فتدخر للذهاب .) والذين كانوا سيبصقون على والحق ان الصافرات كانت تصفر قبل حين الخروج بقليل لان الدقائق العشر الاخيرة كانت مخصصة بالضرورة للقيام بزينة دقيقة ، تتوافق وشعار رئيس الدولة الحالي « السعادة بواسطة الصابون »

كان رجلان يحرسان مركز الشرطة ، وهو عبارة عن مكعب من الاسمنت . وما كان منهما الا ان طبقا ، اثناء مروري « العقوبة الجسدية » المنصوص عنها في القوانين : فضرباني ضربة قوية بجرابها على صدغي ، وقفزاً فوهة مسدسها على ترقوتي ، وذلك دفعة مقدمة قانون الدولة رقم ١ « على كل شرطي ان يظهر امام كل من يقبض عليهم بأنه احد ممثلي القوة العامة . » ويستثنى من ذلك الموظف الذي يقبض على غيره نظراً لانه

يتمتع بحق يتيح له ان يقوم خلال الاستجواب بتطبيق العقوبات الجسدية التي يراها ضرورية .

لقد نص قانون الدولة رقم ١ على مايلي : « لكل شرطي الحق في تغريم المذنب، وان الواجب ليقضي عليه بذلك اذا كان الفرد متهما بجرم . ومع ان كل رفيق ليس معيباً الا انه قابل لان يقوم . »

سلكنا ممراً طويلاً عاريا ، وقد ثقب بنوافذ واسعة وفتح باب تلقاء نفسه ، وكان الحرس ، لاشك ، قد اعلنوا عن قدومنا . لان قدوم كائن موقف كان يعد حادثاً جللا في ذلك الوقت الذي كان فيه جميع السكان مسرورين ومنتظمين وعاقلين ، يعمل كل منهم جاهداً كي يستعمل الصابون النظامي .

ثم دخلنا حجرة كان اثاثها الوحيد كرسيين ومكتباً قد جهز بهاتف ، فوجب علي ان اظل واقفاً في منتصف الحجرة . نزع الشرطي عمرته وجلس .

لم يجر باديء الامر شيء . ذلك بانهم يبدؤون دائما على هذا النحو ، وهذا اسوأ مافي الامر . شعرت ان وجهي ينهار . لقد كنت متعبا وجائعا . اما آخر اثر للسعادة ، ذاك الذي هيأته لي كآبتي العذبة فقد اختفى ، وكنت على علم بأنني هالك .

جاء بعد عدة لحظات رجل ضعيف البنية ، شاحب اللون ، يرتدي ثوباً فاتحا . كان هـذا مكلفا بالقيام بالاستجواب التمهيدي ، فجلس دون ان يتفوه بكلمة ثم نظر الى :

— مهنتك ؟

— است الا رفيقا .

— ولدت في ؟

— اول كانون الثاني ١٩٠١

— آخر وظيفة ؟

— سجين .

تبادل الرجلان نظرات خاطفة .

— تاريخ اخلاء سبيلك ومكانه ؟

— البارحة في العنبر ١٢ ، الزنزانة ١٣

— مكان الاقامة المرخص به ؟

— هنا .

— الشهادة ؟

اخرجتها من جيبي وقدمتها للموظف . فربطها بالبطاقة الخضراء التي كان يملؤها .

سبب السجن ؟

— وجه سعيد .

تبادل نظرات بين الموظفين .

— اشرح ذلك !

— لفت وجهي السعيد نظر احد رجال الشرطة ، في يوم كان الحداد محتما ، وذلك بأن رئيس الدولة قد مات .

— مدة العقوبة ؟

— خمس سنوات .

— سلوكك ؟

— سيء .

— مامعنى هذا ؟

— قلة النشاط في العمل .

— انتهى .

آنذاك نهض الموظف المكلف بالاستجواب التمهيدي وكسر لي ثلاثة اسنان . كنت موسوما باعادة ارتكاب الجرم الماضي ، وكان يعني عقوبة غير عادية لم اكن اتوقعها . ثم خرج ليترك المكان لشخص كبير يرتدي ثوباً رمادياً : وبدأ الاستجواب الحقيقي .

كانوا جميعا يضربونني . الموظفون المكلفون بالاستجواب التمهيدي ، وبالاستجواب الاساسي . وقضاة التحقيق الاولون ورئيس قضاة التحقيق ، هذا بالاضافة الى العقوبات الجسدية التي يقرها القانون ويطبقها الشرطة لقد كلفني وجهي السعيد السجن خمس سنوات اما وجهي الكئيب فقد كلفني عشر سنوات ...

سأحاول الا يكون لي وجه على الاطلاق ، هذا اذا ظللت على قيد الحياة عشر سنوات من سني السعادة بواسطة الصابون .

جورج سالم

من زاويتي

بقلم : خالده عبد الله

الحب عبادة ، عبادة واعية نقية ، عبادة يتجلى فيها سر الكون وسحر الوجود ، وعظمة الخلق والخالق وجلال الاله وقدرته ... عباده تدفع الانسان الى المثل الاعلى ، الى الخير ، الى الكرامة ، الى تحقيق ذاته ومعرفتها ن تجعله يرى الطبيعة وما فيها من كائنات جميلا رائعاً .

والحب ان لم يكن عبادة ليس حباً .. انما علاقة تافهة شخصين يخدع احدهما الاخر او يخدع كلاهما الاخر الحب غاية الغايات .. من اجله خلق الكون ، وبه يستمر بالوجود .. لذا نرى الطبيعة كل الطبيعة تعيشة غنيا رائعاً قدسيا .. وتحتفل به بعرس تتلون به الاشجار وتذوب الارض في عناق مع الماء ، ويملأ الطير الفضاء غناء وزغردة وتتمايل الكائنات صغيرها وكبيرها باجمل حللها ، كل يحتفل على طريقته الخاصة ، كل يبحث عن نصفه الآخر بلهفة ونشوة ، ويتم العناق القدسي ، وذلك العناق الذي يبسم له الاله ويعتز لانه تعبير عن قدرته وامتداد لوجوده الخلاق ..

ويقف الانسان من هذا كله متعجباً متأملا ، لانه لايعيش الحب فقط وانما يدركه .. لذا يسمو بحبه عن كل حب ويصل به الذرى ، ويقتحم من اجله الصعاب .. ولكن الى اي حد يخلص الكون الى شعلة الحب المقدسة ؟ والنفحة الالهية ؟. انه يعرف ويتأكد انه بمقدار اخلاصه الواعي لتلك الشعلة بمقدار مايحقق وجوده ويحقق للانسانية رسالة ترضيها ... ويعرف ايضاً ان هذا الحب يكمل وينضج بالخلق : وهذا طبيعي فكما ان الشجرة تنتهي ، تصبح حطبة ان لم تحمل والذي هو كذلك الانسان ينتهي ان لم يحقق وجوده الخلق الذي تتجلى به القدرة الالهية ، نتيجة طبيعية لعلاقة الذكر بالانثى .. تلك العلاقة التي قدسها الله والدين والمجتمع والاخلاق على مر العصور ، .. كل الكائنات تعرف هذا بالفطرة وتستعد له سيد الكون اساء ويسيء باستمرار الى هذه العلاقة ، فغير معناها واعطاها اسماء ومعانيا بعيدة عنها كل البعد ، واستهتر بها ونظر اليها نظرة ارضية رخيصة .. ان هي الا متعة عابرة واستهتر بها استهتر بالواقع بنفسه ، بقيمة وجوده ، بتلك اللحظة المقدسة التي يتم بها الخلق .. بتلك الرعشة السماوية التي تفرح بها الطبيعة وتنتشي ، وكيف لاتفرح وهي سر وجودها .. اساء اليها وضل طريقها .. وتمر العصور واساءته تتوضح فيصبح العرس مأتما والعبادة عملا ارغاميا وتساق الانثى الى الذكر كما يساق العبد الى سيده . وتجبر على منحه جسدها ، وكذلك الرجل يضطر ان يقبل من وضعها القدر بين يديه .. ويتشوه الخلق ، ويختفي الفرح ويعيش الانسان مع الاخر ، وهو بعيد عنه ولا يعرفه ولايلتقي معه بشيء .. وتبعد الهوة اكثر فاكثر بينهما وتفقد المعاني الكلية مفهومها المقدس وتضيع معالمها ويضيع معها المفهوم الانساني العميق للحياة .. ويستمر ذلك الكائن السيد في ضلاله متحديا الله والدين والمجتمع والانسانية .. متحديا تلك العلاقة المقدسة .. سافا بها حتى يوصلها الى الحضيض ..واذ جسد المرأة وروحها طبعا وراء جسدها سلعة .. ولذة الرجل شهوة رخيصة يبذدها هنا وهناك ، يبددها كالحيوان بل بطريقة ارخص من الحيوان ، ونراه باحثا عن متعة سوداء يضيع فيها نفسه ووجوده واما ان يجتمع مرغما مع انثى جعلتها الظروف

بين هدبيك

بين هدبيك مدى هـــل المدى
بين هدبيك تخوم او اثر
بين هدبيك ظـــلال انتثرت
وضفـــاف لنجوم وقمر
ومقيل لغوايات الهوى
وانطلاق بين معسول الصور
وارتسام لبقايا قدح
لشروب ضج في فيه السكر
شربت عيناه حتى انتشتا
فرمى الـكاس على نشوى النظر
بن هـدبيك نبي غارق
يتملى الله في نـــور الفكر
كبرياء الله في وحـــدتة
وجلال الله والوحي العطر
بين هدبيك صبـــايا وصبا
وابتسام وامان وزهر
وغد يحمل في راحته
طرف الشرق واصداف الجزر
بين هدبيك اماني خوت
تتهـــادى كقصور دار
وانا الهيمان مـــالي مستقر
حبحر الدر وشلال القمر

حنا الطيار

زوجة .. ونرى الانثى معتدلة ضعيفة ، تمنع هذا وذاك مرغمة .. فهي اما بائمة هوى تنتقل امضطرة من رجل لآخر ارضاء لمهنة ارادها لها القدر ، واما زوجة مرغمة على الاستسلام الى زوجها لقاء بقائها في كنفه ، تهرب تارة وتصطنع النوم اخرى ، وتعيش جاهلة معنى الاخذ والعطاء جاهلة الرعشة العلوية تلف كيانها ، والنشوة الخالدة وتفوق وجودها ، وهذه العلاقة المسخ تعطي انتاجاً ضحلا مشوها وعلاقة مثل هذه جرمها الله والدين (امساك بمعروف او تسريح باحسان) ويتمسك بها الانسان ويسعى اليها غالباً ناسيا في انتاجها وجوده الفعلي .. ويبقى الحب واتصاله السحري لاولئك اللذين يعرفون الله ويجدون خلقه ، ويقدسون سره ، ويرعون استمرار كونـــه ، ذلك الاستمرار المبدع ، الذي تتبلور فيه الشعلة المقدسة والاهب الهي ، ذلك اللهب يلمع في عيني الانثى فيطابها الرجل ، وتحدســـه الانثى بانفاس الرجل المستعرة فتهرع اليه ، ومن التقاء النفس اللاهث بالنظرة المستعرة ينبع الوجود والابداع والفن والخلود ، وهذا اللقاء لايعطي معناه اذا لم يمنح كل نفسه الى الاخر كلياً مطلقاً ويذوب فيه ويصبح انا الاخر اذ لم تعبد الانثى الرجل البطل ، واذا لم يحقق الرجل للانثى البطولةالتي ترضيها ، اذا لم يجتمع كل مع الاخر فكريا وعاطفيا واجتماعيا وقوميا ،

وهذا اللقـاء المشترك والاعجاب المتبادل والمنح السخي هو الحب الصحيح ، الحب المتعبد ، الحب الذي يرقى بالانسان الى درجة العبادة والتقديس ، وتجعله سيد الكون بلا منازع .. الحب الذي يخلق المعجزات ويحقق حتى الاحلام ويجعل الاله يبتسم معتزا بخلقه وابداعهم وكونه وخلوده .

خالدة عبد الله

الفجر الوردي

بقلم : تيسير حاج حسين

قسماً بالفجر الوردي
يطل على الجبل المقدس
وبذكريات حزينة
انني لن انسى ماحييت
الدماء البريئة
روت التراب ...

* * *

تحت كل صخرة
جثة حبيبة على قلبي
وأمد يدي الى التراب
فأجد الدم
وانظر الى السماء
فأرى الارواح تعاتبني
وتبارك الاحفاد ...

* * *

لقد اغتصبوا امنياتي
ودعاءاتي
وتركوني وحدي اسير آهاتي
لم يتركوا لي شيئاً
آه .. كم هم قساة
يافجري الوردي
كم هم قساه ...
اترضي لي الهـــوان
اتقبل ان اكون مضغة الافواه
افواه الحساد والاعداء ...

* * *

الفجر الوردي
انا احبـــه
انا اعبـــده
بقـــوة
لانني احب النور
واكره الظلام
احب العيون الزرق
احب النهار ، الشمس
والليل والقمر . .
واكره الفراغ ... فراغ الصحاري

* * *

يافجري الوردي
ان عدت ، فلن اعود
الا اليـــك
للعيون الزرق السابحة
وراء الغمام ...

تيسير حاج حسين



السرير رقم «٤٦»

قصة: بقلم اسماعيل عدره

الاهداء: الى الدكتور جوزيف فتوح الطبيب العيني الشاب ، وفاء لانسانيته السمحاء ، اعتزازاً به طبيباً عربياً سيكون له شأنه في عالم الطب العيني.

عدره

كان حر الهاجرة يتقطر لهباً ، وهبات عاتيـــات تلفح الوجوه وترهق العيون ، عندما استوي (ابو علي) واقفاً في حقله بعد انحناءة طالت اكثر من ثلاث ساعات ، جاس خلالها في تفتيت تربة الحقل « — واجتثاث النبات الضار ؛ واخذت عيناه تستشفان الغد : غداً سيزدهر الحقل وتخضر المواسم ، ويتدفق الخير، ثم تتوارى غصة « ام علي» وتدفن حرمانها وشقاءها الى الابد !

وارتسمت على شفتيه ابتســامة عابرة ، وهو يعاود انحناءته ثانية لتطهير التربة من بقايا النباتات . وارتاع اذ بوغت ان الحقل قــــد تحول في عينيه الى صفحة خضراء متماوجة ، لايقدر ان يميز نباتها من غرسها ، ولا خبيثها من طيبها .. وامتدت يده تجفف العرق المنفصد من جبينه تارة وطورا تمر على عينيه تنعش اعصابها فتعاودان الرؤية ، وتستشرفان الامل .. ولكن لاجدوى ..

وتمتم لنفسه :

لعل لفحة عارضة من الحر قد لامست عيني ، فلألذ بالراحة قليلا .

وبصعوبة تفيأظل شجرة يتيمة في حقله ، على حين كانت زوجته ام علي في طرف ، من الحقل فهي تجمع نثار النبات وتضفره كوماً ، يختزنونه وقوداً الى فصل الشتاء . واكثر من مرة تطلعت المرأة الى حيث يعمل زوجها فلم تره ، فبرحت مكان عملها ودنت من الشجرة :

— ابو علي .. ابو علي ..

واستجاب الرجل لنداء زوجته :

— اني هنا ام علي .

وقفت ام علي الى جانب زوجها ، وحين همت ان ستحثه لمثابرة العمل ، احتنق الكلام في حنجرتها واستحوذ على احاسيسها هلع رهيب .. لقد كان زوجها ينظر اليها بعنين مضطربتين مكدودتين ، برزت حدقاتهما واوتعش النور في محاجرهما ، وتهدلت اجفانهما بصورة مريعة مؤلمـــة .. وبقتة صرخت :

— ابو علي !

وابتسم الرجل .. مرة ثانية ابتسم والتفت الى حيث تحسس وقوف زوجته :

— ام علي .. تعالي .. ادني مني . اني متعب ياام علي !

وازداد هلع المرأة .. انها تقف بقربه .. فلم لم يلحظ ذلك ؟! . وعيت على كلامه بنبرات واهية :

— اني بجانبك .. مالك ابو علي ؟.. الا تراني ؟!

واخذت يداه تتلمسان زوجته ، وحدقتا عينيه تدوران وترتعشان فلا تستقران على شيء . ولاول مرة لم يبتسم الرجل .. وكل ماحدث هو دمعتان تائهتان انسفحتا من عينيه وسالتا على وجه مغبر خلفت فيه حقب الدهر كدمات والتفاحات انتثرت عابثة فوق وجنات محروقة !

وتهادت المرأة ازاء زوجها .. انه لم يرها .. اذن ، لقد انطفأ النور في عينيه ، وخلف وراءه امواجاً من شحوب وحقولا خصبة من حزن .. وهكذا بدون شفق ادلهم الظلام ، وبدون كواكب حل الليل ؟! . من يحدب على ام علي ، ومن ينتزع من الحقل جذور الالم بعد ابي علي؟

من يغني لها مع شروق الاصابيح ، اغنية الامل ، ويهدهد احزانها حين تكفهر السماء ؟!

وادرك الرجل ما يعصف في نفس زوجته :

ـ شيئاً من صبر وامل ياخديجة !

٭ ٭ ٭

وفي المشفى تداعى الاطباء يتفحصون العينين الخامدتين ويشخصون الداء الذي استولى على الضياء . وقد همس احد الاطباء لزميله :

ـ الجدوى قليلة ؟

ولم يجب زميله بشيء سوى بهزة من رأسه .

كانت ام علي تقف خارج حجرة التشخيص والعمليات ترتقب بالتياع انبثاق نور من داخل الجدران الاربعة . لقد غامت المرئيات في عينها ، واضطربت الرؤى في خاطرها ، وتصورت المستقبل كالحاً يجر معة البلاء . واخيراً جيء بعربة صغيرة سجي فوقها ابو علي ونقل الى السرير رقم (١٦) وقد كلت عيناه بضماد ابيض كثيف غطى نصف وجهه ، فاضفى عليه بهاء ونصاعة .

وانفرط عقد الاطباء ومر احدهم بأم علي :

ـ انت خديجه ؟

ـ نعم .. خبرني يادكتور عن « ابو علي » كيف حاله .. خبرني ارجوك ؟..

ـ اطمئني .. ان لفحة من وهج الشمس مصحوبة بمراحل ارهاق قد سكبت في اعصاب العينين الوهن ، ففصلت الشبكية واتت على الرؤية .. لكن الامل يتعاظم في شفائه مسكين زوجك ياخديجة .. يبدو انه يتعب كثيراً اليس كذلك ؟

ـ بلى يا دكتور . انه يلازم الحقل ويحياه .. ولكم اثارني هذا الحقل ، وقد استبد بزوجي وبروحه وآماله . انه مع الصباح يرتاده ، وعند الغروب يبرحه .

وعقب الطبيب :

ـ مع ذلك لاخوف عليه اطمئني !

٭ ٭ ٭

كان الوقت ظهراً حين زارت المريض « ابو علي » في المشفى ، امرأة فارعة القد ، ضرجت الشمس وجنتيها ، ووصعت نسائم الريف عينيها بضياء نقي صاف ، واضفت القرية مسحة من شحوب حزين وادع على وجهها .. وقد استقبلها ابو علي .

ـ اهلا ام علي .. كيف الاهل وكيف القرية ؟. كيف « الزرعات » يا ام علي ؟

ولم تستطع المرأة ان تسيطر على نفسها .. لقد انهلت الدموع من عينيها .. انه يراها الآن تماماً كما كان يراها من قبل ، وودت ان تزغرد ابتهاجاً بشفائه ، لكن استحياءها من المرضى الآخرين قد كبح دفقة الغبطة في نفسها ، فاكتفت بهذه القطرات تتلألأ كالابتسامة العميقة تعبيراً عن فرحها ، وشفاء لعينيها هي . وابتدرها ابو علي ثانية :

ـ سأبرح المشفى بعد اسبوع . سنعاود لحظات الامل وسنحيا مواسمنا الخيرة !

حين برحت المشفى ام علي ، ظل شيء واحد يقلق بالها : كيف عرف الطبيب اسمها وهو يبرح حجرة العمليات؟ الم ينادها باسمها خديجة ؟!. اذن كيف عرف ذلك ، ومن قال له ؟؟

لم تدرك ذلك حتى الآن ، لكن احد الاطباء كان يحادث زميله وهما خارجان من الحجرة عن ابي علي المريض القروي الذي كان لسانه يلهج باسم زوجته : خديجه في احلك الساعات !

السلمية ـ اسماعيل عدره

« الخرافة .. والشعوب البدائية »

الخرافة مخاطرة كبيرة بين الشك واليقين ، فان نجحت في الاولى ببعض الامور ، فانها دون ذلك في الاخرى ، وبكثير من الامور ، فطورا يكون التوفيق حليفاً بالشك ، وتارة اخرى باليقين ، واعتقد ان اساس الواقع الخرافي مبني على الشك بعيدا عن الواقع متناف مع اليقين .

وللكون في خلقه عجائب ، فما قد يتفق في ذهن البدائي بانه الحق والصواب قد يتنافى دائما وكليا في ذهن ابناء العصر الحديث .

وما انتشر من الامور الخرافية في الماضي السحيق لدي امم وشعوب يسمونهم باسمها فد يعتبرها رجال العصر الحديث مهزلة في قياس المنطق وجريمة في حساب الضمير بل انهم يعتبرونها او هي من خيط العنكبوت . فهل يمكن ان تبني على هذه الامور الخرافية الواهيه حياة الامم وتقوم على اساسها تقاليد المجتمع ؟ طالما انه قد ثبت بان مايتنافى بالكلية مع متطلبات العصر الحديث قد يكون دائماً الدعم الاساسي الوحيد لحياة البدائيين ومتطلبات عصرهم .

ان ما هو ثابت ، وماالبتته الوقائع ايضاً ، من تزمت الفكر البدائي وضيق وعدم توسع علوم البدائيين وانحطاط عصرهم ، بانحدار علومهم من بدء النشأة البشرية كل هذه الامور وكل هذه النقاط جعلت الامور في ذلك الزمن تسير على علاتها من سيء الى اسوأ ، دون ان يظهر بطلانها مفكر وصاحب عقل مدبر ، معبرين بذلك عن عدم توسع الانسان البدائي في جميع المجالات .

فالبدائيين يتخذون من ابسط الامور واتفهها دستوراً سماوياً وبالاحرى حقاً فرديا ، بينما دساتير الحضرى وشرائعه السماوية السمحاء مرسلة بالوحي ، ومصدقة ومشروعة من قبل الحكومة ، وبالتالي وهكذا فان شرائع الحضري وحقوقه الفردية مصونة ، لها قوانين تنظمها لتحصل الغاية المتوخاة منها تشترك في تقريرها اكبر الهيئات علما وتجاوبا مع الحقيقة ، بل تشترك في تقريرها امم عديدة ودول مختلفة وبذلك يتنافى الحضرى بواقعه وطرق معيشته مع البدائي ، لان البدائي براء من كل هذا . بل انه يعتبر هذه الامور من قبيل الكفر بالله وبتعاليمه احياناً ليقول فيها ، انها مجرد اضغاس احلام لا اكثر ولا اقل فجمود الفكر في الماضي واخذه الامور على علاتها كان من اعظم الدواعي والاسباب لانتشار الخرافه باقصى سرعة ، وعلى اكبر نطاق وتصديقها بدون ما ادنى معارضة او ممانعة لعدم صلاحيتها وانسجامها مع العصر ، وبالاحرى بدون اية مناقشة ، دليل قاطع ساطع على استفحال الخرافة لدى الاقوام البدائية .

والواقع فان البدائي بدائي ، يمثل الحياة البدائية في اجمل صورها وابسطها وايسرها ، ولو وضع في مناص العلوم والمعرفة لما استطعنا ان نقول عنه الا انه بدائي . والحضري حضري ولو وضع في غياهب الرجعية والانحطاط ، لبقى حضري ولبقيت سمات الحضارة بادية على وجهه وبالاحرى فان خطأ البدائي مستمر ومتكرر ، ولكن الحضري قد يكون دائما براء من ذلك ، حتى ان خطيئته لايمكن وليس من المعقول ان تتكرر اكثر مني مرة الا نادراً ، ولكن جل من قد لايخطيء ، ومع ذلك فالخطأ حدود محدودة ولتكراره امم وشعوب معلومة .

ان الشيء والامر المتعارف علية لدى الحضرى ، من مختلف الامور الدالة على التقدم العلمي بالصناعات والاختراعات الحديثة التي اظهرت عن براعة الفكر

والعلم والعقل وخاصة في القرن العشرين بما حققه من الامور الحساسة والصناعات الهامة التي كان لها ولم يزل اكبر الاثر في النفوس ، لم يكن موجوداً بالكلية لدى الشعوب الشعوب البدائية ،وهذا مايدل على الحدود المحدودة للفكر والعلم والعقل البدائي .

والواقع فان العقل البدائي هو ذلك الشيء المــدبر ، والارض هي تلك التربة التي عليها ومنها تقام وتنحدر تلك العلوم وتلك القصور وهي بالاحرى مدار حوادث هذا العالم على اختلافها وفيها وعليها وجـد واقع البشر وقامت عليها حياتهم ، والتي ترعرعت ضمنها فكان ان انتجت ما انتجت وبقيت ما بقيت دون انتاج ،

بعد هـذا كله يظهر لنا الواقع الحائق العامضـة ويضع امامنا الدساتير والقوانين المختلفة ، وفهم ومقدرة الانسان البدائي على الفهم والتفهم امر متداول لدى الجميع ، ،واما الحضرى ففهمه للحق من الباطل وتقريره الكليها دونت ذلك كله قوانين العالم ودساتير الامم

ولو عدنا الى العصر البدائي لوجدنا ان البدائيين يتنافون باعمالهم مع ما يقره العلم الحديث وما يجيزه الواقع ، ولوجدناهم يختلفون معنا في غالبية الامور التي قررها الفكر الحديث وقال عنها بانها الحقائق الصادقة والامور الواجبة الاتباع ، ويتنافون ايضا باعمالهم مع اعمال ابناء العصر الحديث ، وهم بذلك انما ينكرون للعقل والفكر مزاياهما ليطبقون مندون ارشاداتها وتجاربها التي قد لاتخطيء قوانين اتت عن طريق الوحي الخاطيء والصدفة الكاذبة والفكر الميت والتجارب الخادعة بقدر خداع العقل البدائي والتي تقف امام الفكر الحديث اوهي من خيط العنكبوت . وهم باعمالهم واختلاقاتهم وجادلاتهم تلك كانوا يدورون حول حدقه مفرغـة لا اساس لوجودها ولا اقرار مسبق باحقيتها في التطبيق والارشاد والعيش المستمر وبالتالي لا حق ولا اقرار مسبق باحقية الاخذ بها .

ولكن العقل والفكر امران متفقان ومتقدمان مع مرور الزمن ، فما الولد الذي يلد من بطن امه يكن عالما في باديء الامر بكل الامور او ببعضها ، فلولا ادوار التجارب والتدرج والتعلم التي يتلقاها ممن سبقوه بتلقن وتمرس هذه الادوار ، لكان اشبه بشيء اصم ابكم اعمى لايعلم شيئاً ولايرى شيئا ولا يفقـه ولايفهم شيئا ولكن التجارب والحياة التي يحياها الانسان الطفل المتجدد والتي يتمرس بها ، والتي عاشتها وحيتها الاقوام البدائية لم تدل على شيء يدل على التقدم والفهم او ما ينبيء بهما في بـــاديء لامر .

ان وجود الخـــرافة امر موهون على وجود البدائيين ، مع ان الخرافة لم تأت عن طريق الصدفة ولم تكن يوماً وليدتها . يثبت لنا ذلك تعلق جميع البدائيين بها ، فلو كانت اتية اليهم عن هذين الطريقين : طريق الصدفة ، ومرداتها ، لما كانت طبقت من قبل جميـع الشعوب للبدائية ، ولما لقت الترحيب ، كل الترحيب من قبل الجميـع ، والحقيقة هي القول بان وجود البدائي لم يكن – بعد اخذه بجميع الامور الخرافية – الا لغاية ولعله نقص في نفسه يقصد بهذه الغاية والعلة ، تطبيق الخرافة . ومن يطبق الخرافية بحذافيرها ، فان علل النقص اكثر كثر من ان تعد في نفسه ، فلو لم يكن البدائي موجودا وكائنا في العصر البدائي لما كانت الخرافة موجودة وكائنة بالفعل في العصر البدائي ايضا .

ان وجود سباع وآفات وحيوانات مفترسة عن طريق الاسهاب بالحلم والتخيل على قمة الجبل وفي قاع البحر والبئر وافتراسها لهذا وقضائها على ذاك ، من الطبيعة ادراك واحساس وتفاعلات الوحي البدائي ، ومن اولى الامور المطبقة عند الشعوب البـدائية ، بكاملها ، تصديق مثل هذا الاسهاب الخطيء ، الذي نعتبره من قبيل التخيل الذي قد لايستند الى الحقيقة اطلاقا

كما وان التسامي والتكبر ومناجاة الله واجابة الله لطلب من ناجـــاه ! (اي كلموه ، فأجابهم) كلها حقائق خاطئة تقرها وتجيزها العقلية البدائية الضيقة الافاق والحدود ، العقلية المبنية على تصديق الشائعات الخرافية مع بون بعدها شاسع عن الحقيقة والوافع والتصديق في اذهان ابناء العصر الحديث ، اضف الى ذلك تنصيب

البدائيين رجالا منهم بوحي الخرافة المستفحل في نفوس البدائيين بمناصب الربوبية والنبوية واتباع هؤلاء الالوهين والرسل والانبياء الادعائيين الكاذبين على اختلافها من شر وخير ، وخير وشر .

كل هذه امور تجيزها العقلية البدائية الضيقة على على علاتها وغموضها برغم بعدها الشاسع عن الحق والحقيقة في نظرنا نحن ابناء هذا العصر .

ان علة النقص وحدة وهي خرافة الاقوام البدائية عامة ، والمعلول واحد وهو المجتمع البشري بما اورثته خرافة الاقوام البدائية من علل النقص العديدة والتأرجح على نمط اللهو القديم من قبيل الوحي والواقع الخرافي ، اللهو الذي لايتفق مع العقل الحديث والعلم والفكر والذوق السليم ، الذي يتنافى مع مايجيزه الفكر الحديث في كل امر احياناً ، والذي يتفق معه بنادر الامور احيانا اخرى ، كأدعاء البدائيين وجود الحياة الدنيا والحياة الاخرة على سبيل الافتراض وهذا منقررهم عليه بدون ادنى افتراض .

وما ادعاءات الاقوام البدائية المختلفة الا علة بسيطة اتت نتيجة الخرافة البسيطة ايضاً ، لو كان فيه هناك من عقل واع وعلم وفكر حديث لاستأصلها كلياً بعد ما ثبت لنا موطن الكذب والضعف والنقص فيها ، فصراحة البدائيين ناتجة حتما عن الوهم والوهن طالما ان الخرافة المستفحلة مدرسة انخرطت فيها الاقوام البدائية جميعها عن بكرة ابيها مع العلم الاكيد بانها كانت مبنية على الاوهام والعلل والعاهات العديدية ، وهذه الخرافة بدورها اخذت على عاتقها ما يسمى بالحقائق وحرمتها المقدسة في نفوس اصحابها وسعت الاقوام البدائيـة على تطبيقها ، رغم اكتنافها بالغموض والبعد عن الحقيقة في غالبيتها العظمى . جاعلة منها واقعاً مقدساً ودهراً ممقوتاً ، لابناء هذا العصر ، اماورثته من الامور الخرافية الهزلية التي علقت في عقلية ابنائه زمنا طويلا لا يقاس بالاعمار ، والتي هي بالحقيقة لاتتعدى عن كونها خرافة مستفحلة تكشفها الوقائع المادية والمعنوية على حقيقتها وبوجهها الاشيب القشيب . شأنها في ذلك شأن الادعاء بان الارض سماء والسماء ارض ! او ان نقول – كما يزعم البدائيين – بان فلان كان موجوداً في ساعة معينة في مكان ما .. ويأتي اخرون ليقولون بان فلانا المذكور كان في نفس الوقت في مكان آخر ... فمن الصادق ومن منهما كلامه هو المعقول ؟ .. وهل يصدق مثل هذه الاقوال الا الاقوام البدائية ؟ ! وهل تصدر ايضاً الا عنها ؟

والواقع ان ما يسميه ابناء العصر الحديث وخاصة ابناء القرن العشرين حقائق مطبقة على العلم والعقل والفكر لو طبقت هذه الحقائق في الماضي وعلى البدائيين خاصة . مع العلم انه في الماضي لم يكن فيه من فكر او عقل او علم يستنتج مثل هذه الحقائق . او من يقرها . او من يخترع مثل هذه الاختراعات التي توصل اليها ابناء هذا العصر لاعتبرها البدائيين عجائب الدهر لا اكثر ولا اقل ، دون الالتفات الى عظيم فائدتها في تحقيق رخاء وتقدم الانسانية .

فهل من الممكن ان تتساوى العقلية البدائية المبنية على الخرافة والاوهام وتصديق اللاواقعي مع العقلية الحديثة المبنية على اقرار مسبق من العلم والفكر والعقل ، ولو توفرت للعقلية البدائية كل عوامل الانماء والاعتناء ؟

طالما انه من مقررات الاقوام البدائية المتفق عليها لديهم جميعاً ان اوقات ظهور الظل اوقاتا مقدسة ، والاوقات التي ينعدم فيها الظل اوقاتا بعيدة عن التقديس في نفوسهم ، فهل شيئاً من هذا القبيل موجود لدى الحضر ؟

تستنتج من ذلك كله ان العقلية البدائية مبنية على الاوهام والاحلام والمخاوف والاحزان وهذا ما اعترف عليه فلاسفة العالم وعلماء المنطق والاجتماع . كما اننا نستنتج ايضاً من ذلك ان العقلية الحديثة – كما هو مقرر لها – مبنية على ما يسمى بالحقائق الواقعية المصدقة والمطابقة لارشاد العقل واقرار العلم وتنويه الفكر .

ان القلق هو مشكلة جميع العصور حتى الآن ، وخاصة العصور الاولية البدائية ، والواقع ان احداً لم يعف من هذا الدواء المشترك فالقلق اشبه بالمنشار المزدوج الذي يأكل الخشب ذهابا وايابا محدثاً صوتا يحطم الاعصاب . فاذا كان هذا يحدث معنا نحن ابناء العصر الحديث بالفعل ويشكل

ويسبب لنا من الامراض الكثير : فكيف بالاقوام البدائية المعترف لها بضيق العقل والفكر وقلة المعرفة ؟ خاصة وان الحياة اكثر بكثير من بقية الامراض وبما ان العقل كان محدوداً في ذلك الحين فان الامراض البدنية كانت اكثر من ان تعد .

المعترف عليه لدى الجميع هو ان تقدم الفكر مبني في الاساس على طرد كل خرافة من حظيرته طردا لاهوادة فيه ولا همس ليتم بعد ذلك التخلص من ادران مخلفات الاقوام البدائية في العصور السحيقة . التي كانت حافظة بالخرافة المستفحلة ،فدليل القضاء على الخرافة اذن هو تقدم البشر في العصور الوسطى والصلة اعتقدها كل الاعتقاد وثيقة بين تطور الفكر وتطور التكتيك ، ولكن نظرة الخرافة بالمجتمعات هي ان تظل دائماً وابدا : ادواتها بدائية ومحدودة ايضاً ، فالبدائية كما قالت تتفق بالفعل مع الخرافة في كل شيء ، حتى انهما مجتمعين مع بعضهما البعض تعدان بحكم الشيء الواحد ، لان من يطبق الشيء وهذا الشيء هو بالواقع الامر المكمل له : يعتبران مجتمعين بحكم الشيء الواحد لا اكثر والا اقل .

ان التفكير الخرافي هو عالم مسرحي مهتم باظهار الامور التي تبنى على الخداع ، لانه بالخرافة يخدع البدائى بالواقع نفسه بنفسه ، ومع ذلك فالخرافة والرجل البدائى : هما امران متفقان غير متناقضان او مختلفان .

والانقلاب الذي حققه الفكر البشري مؤخراً وهو ادراكه للخرافة على انها خرافة من الوجهة العقلية والعملية والفكرية والتطبيقية ،ومن تمرد الانسان عليها في فجر التاريخ وبالتالي قضائه التام عليها دليل قاطع على نجاح ابناء العصر الحديث في حياتهم و في اعمالهم ، فالآن وقد طردت الخرافة من العلوم الصحية ومن دائرة الفلسفة ، فالشكر تسديه لمن تعقبها في الماضي والحاضر بعد ظهور سوء صلاحها مع المجتمع الحديث ، من فلاسفة وعلماء اجتماع وعلماء نفس اولئك الذين تم لهم مؤخراً ان لم يكن كلياً القضاء على الخرافة وآثارها بعد ما ثبت للجميع كما بينت سابقاً ان الخرافة تتكون في النفس منذ السن الاولى للطفولة .

ان الخرافة كانت سائدة في عصر سابق على الفلسفة ، كما انها كانت في تلك العصور سيدة الموقف ، ولكن العقل الذي امعن ويمعن دائماً في الكون منذ الفجر الاول للانسانية حتى نهايتها وحصول الفناء الاخير ، دخل في بناء العالم واعتبر نفسه الاساس الاول الذي يشتق منه معنى الوجود ومعينا ينبثق منه معنى وجود الكائنات فالخرافة وهي ذلك الشيء الواهي الذي لا يتفق مع العلم كما بينا ، وهي في اساسها مبنية على الوهم بعيدة عن العلم فانها وبالفعل لا تتفق اطلاقا مع العقل ، وبعد ما ثبت للعقل والعلم والفكر هذا الذى قامت على سواعده الحركة الاخيرة التي تم لها القضاء على الخرافة تدريجياً .

من بنود الاسس التي بنيت عليها الخرافة هي : انها تدين بنشأتها الفكرة هي بنفس الوقت شعرية وفلسفية ناشئة عن الطبيعة ، ومن اشد ظواهرها بروزاً ، واصل الخرافة كما قلت الوهم ، والوهم هو اصل الخرافة .

الخرافة كما يعلمها الجميع ليست نظرية او مذهباً بل بل هي اقتناصة للاشياء والكائنات وانسحاق للذات وانسراب للانسان في نشيج الحقيقة في بعض الاحيان .

والواقع ان الرجل البدائي يعتبر الجبل كائناً حيا على سبيل الحقيقة لا على سبيل الرمز والمجاز ، وهو بذلك انما يخالف حقيقة الاشياء افدح مخالفة ، كما انه يقر بذلك بمبدأ ، التخيل الوهمي لامبدأ الحقيقة والواقع .

ان الوعي الخرافي ان هو في الواقع الا توكيد جمعي ومقولة الخرافة الوحيدة هو مقولة الجمع العينى الخ : والشعراء والمفكرين والعلماء هم اللذين جعلوا من الخرافة رمزا وتصويرا ، وهم بذلك لاينوون عن تفكيك معطياتهم الحسية وردها الى عناصرها الاولى .

والواقع ان سلوك البدائي يشبه الى حد بعيد سلوك الطفل ، ولكن العقل البدائي ، عقل جماعي ، بينما عقل الطفل لايزال فرديا ، وهذا لايمنع من وجود فروق عميقة بينهما احيانا ، فالبدائى ، رجل مكتمل النمو يكافح في سبيل طلب الرزق وهو يعيش في حالة قلق من قوى الطبيعة الغادرة ، وهو كذلك متدرج في انماء مواهبه

كالطفل . ولكنه يختلف عنه بان عقله عقل جماعي . وبأنه بدائي ناشيء على الفطرة ، وعاش ومات وهو بدائي مع انه كانت متوفرة لديه كل عوامل الانماء والاعتناء، ولكنه لم يفعل ، ولكن الطفل الناشيء قد يختلف عن الانسان البدائي وقد يكون في غير ذلك المستقبل .

ان فنون السحر والوهم والقلق والكبت الخ .. متغلغلة في نفوس الاقوام البدائية وهذه كلها اسس ومقومات ومستلزمات حياة الاقوام البدائية ، تمتد بها وتأخذ بآلمـــا .

واخيرا كان ان فقدت البدائية التي اتخذت من الوهم والوهن عقيدة وسلاح كل اسباب الوجود ودواعيه ومبرراته . ان كان هنالك من مبررات واسباب ودواعي ، ومع ذلك كله فان المتوحشين االذين احتملوا اشد الخرافات عنتاً لم يكن بوسعهم ان يعيشوا حياة خالية من المعاني السامية اومجردة منها ، كما اتى على ذكر ذلك واكـــده (اولدس هكسلي) في كتابه (للرسائل والغايات) فكيف اذن المتوحشين منهم ؟ طالما ان المتوحشين منهم ، مع انه يطلق عليهم افظ متوحشين بما يحمله من الاوصاف والصفاة فانهم مع كل هذا يعيشون حياة غير مجردة او منفصلة عن المعاني السامية ، وحرى بالغير الاخرين منهم ان يعيشون حياة حافلة بالسعاده السامية كذلك .

البدائيون يعتقدون - كما نوهنا - ان الدين يقوم بوظيفة حيوية هامة بالنسبة لهم ، وذلك بالحفاظ على مجتمعاتهم المنهارة ، وهم يعتقدون ايضاً ان نزع بعض الحجارة من بناء مجتمعهم المرصوص مدعاة لتقويضه وانهياره باكمله ، ولله في خلقه عجائب ، افليس له في اديان خلقـــه عجائب ايضا ؟

واذا كان الامر الذي يدعو الى اخفاء الخـــرافة وتفكيك العقلية البدائية المبنية على الخرافة من اساسها ، يستلزم السرعة ، فالنظام الذي ترعرعت فية الاقوام البدائية كان قائما باسره على الدين ولابد من دين آخر يحل محل الدين المتداعي لتحقيق ذلك ، حتى يتم القضاء بعد ذلك على الخرافة المميتـة من اساسها وعلى العقليـة البدائية من جذورها .

والواقع فان العقل البدائي ، بعدما رأينا الوفاق التام لدى البدائيين في جميع الامور « واحد لدى الجميع » وكلهم حتما مشتركون فيه على قدم المساواة . وهم جميعاً يسيرون وفق منطق واحد ، على علاته من خير وشر ، غير مفكرين بالخير بانه الامر الواجب التحقيق او بالشر على انه الامر الواجب القضاء عليه وبالتالي مكافحته ، ومع ذلك فانهم جميعا يعتقدون بالسحر ، ولو وضعنا النقاط على الحروف لوجدنا ولتحقق لنا بان السحر اساسه الوهم كما ان اساس الخرافة الوهم ، كما ان اساس الفكر البدائي وعنوانه البساطـــة ودليله السذاجة ، فهو يمثل التجربة الانسانية في ابسط صورها وايسر طرقها .

وبالنسبة للتفكير ونشأته لدى الاقوام البدائية فانه طالما ان الحي « خرج من الميت والانسان من الحيوان » كما ان « قيام الانسان رأسي وقيام الحيوان افقي » ومع ذلك فالاثنين من مخلوقات الله تعالى ؛ كما وان الحيوان يتجه ببصره الى اسفل ،والانسان يتجه ببصره الى السماء وبالاحرى فانه يتجه الى السماءوالى الارض ايضاً ، ولكن الحيوان لا يرى سوى الارض ، واما الانسان فلا حدود لمرآه ، انه يرى السماء فالارض فالطبيعة فالكون ..، وبالطبع فانه يكون قادرا على حـــل جميع المصاعب والعقبات التي قد تعترض طريقه اكثر من غيره ، ولكن الانسان البدائي لم يستطع تحقيق ذلك . بدليـــل انه لم يستطع ان يصنع من مقررات العلوم والاختراعات ما يدل على تقدمه ، وما يخدم مصالحه الخاصة ويقي حياته شر الفناء الوبيل ، مارا بعدة طرق من طرق الهلاك المرير ، بينما للفكر الحديث صنع . وصنع الكثير من غرائب الكون وخطايا الحياة ، وبعد ذلك لابد لنا من الاقرار بان الانسان خاصة ونحن في القرن العشرين ، ذو فكر ثاقب وعقل مدبر وعلم واسع قويم ، ولكن الخرافة التي هي دليل البساطة لم تحقق شيئا من هذا القبيل ، لانها لم تتفتح في الاقوام البدائية لتسارع الى اظهار مزايا الفكر

ويـــلز

تعريب محمد سعيد الكيلاني



نستطيع ان نقول عن بضعة كتاب فحسب ، ان كتاباتهم تجسم وتعكس حياة العصر الذي عاشوا فيه .

فكتابات (تشوسر) في القرن ١٨ — وقصص (ديكنز) في القرن ١٩ كانت متعددة الجوانب ، وقائمة بدقة وتركيز على الظاهرة الاجتماعية في ازمنتهم المختلفة . حتى انه يمكن ان نعتبرهم ممثلين لزمانهم .

اذا سئل احدنا ان يختار الكاتب الاكثر انطباقا على السنوات الاولى للقرن العشرين ؛ فان اقوى ادعاء سيتجه بلا شك !) السيد ويلز ؛ وهو من بين كتاب ١٩٠٠ — ١٩٤٥ ويعكس في مرآته آمال مثل هذه الحقبة بحذافيرها ؛ وخلافاتها وتشاؤمها .

وما قاله في كتابه (تجربة في التراجم) ١٩٣٤ ينطبق انطباقا صحيحاً على كتاباته :

(ان قصتي في الحالين قصة شخصية ؛ وتاريـــخ لامثالي وزمني) .

ولد ويللز ١٨٦٦ فوق الحانوت حيث كان والده — جوزيف ويلز — يبيـع ادوات زجاجية والعاب صينية فنية . ولقد ارسل الى مدرسة محلية خاصه هي (اكاديمة مورلي) حيث كانت الثقافة تجري على اردأ التقاليد البالية في القرن التاسع عشر .

والعلم والعقل فيه ، بدليل ان شيئاً من هذه المقومات والاختراعات لم يكن موجودا بالكليه في المـــاضي ليخدم الانسانية اية خدمة .

واما الآن وقد برهن القرن العشرين عن تقدم البشرية وبالتالي دلالته على تأخر الاقوام البدائية التي اعتنقت مبدأ الخرافة ، كما انه اظهرها على حقيقتها ، ولكن الحضري الذي اعتنق مبدأ العلم والمعرفة برهن في كل ميدان عن نجاحـه الباهر وتفوقه الصاعد ، وخاصه بمحوه للخرافة التي بث عدم صلاحها مع ما تتطلبه المجتمعات ، حتى ان هذا العصر اصبح يطلق عليه مؤخراً باســم عصر الذرة وتسخير الفضاء لصالح للانسان .

وبعد هذا كله افليس الانسان ، اذان هـــذا العصر بقادر على تخليد الفكرة الحديثة والعقلية الحديثة بما اظهرتا من تقدم يدل على نجاح الانـــان في جميع الحالات ، وكذلك فهل هو قادر ايضا لان يقضي على الفكرة البدائية القديمة الضيقة كلياً ، الفكرة والعقلية اللتين برهنتا عن نفسيهما بنفسيهما ، وذلك بتدليلهما على انهما غير صالحتين اطلاقاً ، وانهما امنيتين وغير خادمتين لهذا المجتمع او ذاك ، ومن ثم فشكرا لانسان هذا العصر الذي قد يتم — ان لم يكن قد تم له — القضاء التام على الخرافة من واقع الوجود . ومن ثم محوه لاثارها من بين صفوف المجتمع .

سليمان ابراهيم خليل

ولقد انهت حياته التعليمية كارثة مالية وهو في سن الرابعة عشرة . عند ذلك تمرن كأجير عند تاجر جوخ في (ويندزر) ، ولنفس السبب عادت امه للعمل المنزلي كخادمة في بيت كبير بـ (كانت) .

هذه المغامرة الاولى في العالم التجاري ؛ فشلت كما فشل تمرينه الكيمياوئي في (ميدهوروست) ؛ حيث اصبح طالباً لسبعة اسابيع في مدرسة النحو المحلية . ولم تنكر امه على نفسها طموحها في ان تراه بائع جوخ بارزاً بين اقرانه . ففي ١٨٨١ ذهب الى (ساوث سي) فقضى سنتين في العمل المضني اجيراً في مخازن الجوخ (هيدز) . ولقد اكتشف بنفسه - في سن مبكرة - رغبة لا هبة للمعرفة . وكان كلما سنح له وقت فراغ ؛ اقبل على القراءة بنهم .

ولقد قوى شهوته للقراءة ، كتابات مختلفة : كجمهورية فلاطون ؛ وحقوق الانسان لـ « بين » اثناء زيارة استذكارية لامه في « ابارك » . وفي البحر الجنوبي « ساوث سي » كان يقرأ كل شيء يقع له . وغادر ١٨٨٣ البحر الجنوبي بيأس كلي .

وبعد فترة وجيزة - لكنها سعيدة - حصل - كأستاذ مساعد - منحة مدرسية مجانية ؛ مكنته من ان يحضر صفوف كأستاذ متمرن في مدرسة « العلم الطبيعي » في « كنسنتون » . ولقد درس على البروفسور هكسلي . وبينما كان يكتشف عجائب العلم ؛ سنحت الفرصة ان يصبح عضوا مبرزاً في جمعية « المجتمع المنحل » وان يصبح ملاحظاً دقيقاً للاحداث السياسية .

لقد كان زمن الانهيار التجاري ؛ والبطاله والقلق الاجتماعي وبينما تجمعت الراسمالية حول نفسها في شركات محدودة ومخازن كثيرة - كانت نقابات العمال آخذه في تنظيم نفسها استعداداً للمعركة المقبلة . وبما انه فشل ١٨٨٧ في ان يحصل على درجة جامعية ؛ فقد عاد الى مدرسة خاصة يعلم فيها بـ « دربشاير » . حيث حصلت له وبعد حقبة المرض القاسي عاد الى لندن ١٨٨٩ ونجح في ١٨٩٠ بالحصول على درجة شرف ممتازة في العلم الطبيعي . واثناء ١٨٩١ - ١٨٩٢ كان قادراً على كتابة مقالات علمية . وقد مكنته الكتابه في الصحف على نطاق متزايد ؛ ونشر قصص صغيرة ؛ مكنة ان يقيم كيانه على حياة كاتب حر ؛ الحياة التي سار وراءه بجد لا يعرف التواني اكثر من خمسين عاماً ؛ حتى موته سنة ١٩٤٦

فمن تجربته « كجوخي » ومن محيطة ذى الطبقة الوسطى في شبابة الاول ؛ ومن سني الكفاح الصعبه العلميه التي ناقضت العالم العلمي الحي العذب المنظم ؛ ومن ثقافة الآخرين ، ومن ممالك الذهب التي سافر فيها عقله لآماد بعيدة ، مع رغبة عميقة المعرفة ، من هذا كله تشكل عقل ويلز الخلاق القوي الحيوي . ان اثر هذا العقل على العالم المعاصر يمكن تتبع اثره - لنصف القرن الماضي - في شكل انتاج ادبي اكبر واكثر اختلافا من اي كاتب آخر لايزال حيا . فقد كتب اكثر من ٤٠ قصه ، وعدة مجلدات من القصص الصغيرة ، وكتابات ثقافية وتاريخية وعلمية وسياسية . وتحت اختلافها الظاهرية ، يتوارى ارتباط وحدة فكرة نادرة ، ووحدة فكرة عظيمة .

ان المثل الكبير الذي يشغل في تفكيره ، المكان الاول ، كان مادعاه (المؤامرة المفتوحة) لعالم احسن : (ان معركتنا مع المحن وما يحبط المساعي ، ومع لاشياء الحمقاء الثقيله والبغيضة ، التي سنتخلص منها لامحالة ، هذه المعركة تحب المنتصرين الذين يقهرون العالم اكثر مما تحب النوم المستيقظين من كابوس في الفجر) . ولقد كرس لتحقيق هذا كل كتاباته ، واخضع كل الاعتبارات الاخرى للمثل الاعلى الرئيسي ، مفضلا ان يعرف كصحافي على ان يعرف ككاتب قصة ، رافعاً من قيمة حقائقه لمذكرة ، القائمة على المنطق وتفسيراته للتاريخ والعلم كما قومها في (حقائق التاريخ البارزة) و (علم الحياة) او تفسيره للفلسفة الاجتماعية والاقتصادية كما في (عمل البشر وثروتهم وسعادتهم) .

وقد يقرن الانسان الكاتب نفسه بكتب اقل مما يجدر به .

ان الذكريات المؤلمة المبكرة ، تتجمع في اولى جولات الكاتب في عالم الكتب . لان اولئك الذين اخذوا يجدون قصة (جولز فيرن) ، قد مضى زمنها

قليلا ، نجم لهم الاكتشاف الرائع لكتاب (عصر الالة) وتبعه كتاب (عالم الحروب) ، بقدر ما كانت تسمح به المكتبة المحلية ، وتبعه (اول انسان في القمر) و (الحرب في الجو) .

والمغزى الخلقي كان يتمثل حتى في هذه الكتب . غيران الصوت النبوي كان خافتاً ناعماً . والدرس الذي غناه الانسانية ، طغى عليه عالم الماويتنيين ورجال القمر وآلات عجيبة ايقظت خيال الشباب .. ولم تكن القصص الصغيرة اقل مسرة من السابعة ، واثار كثير ، منها شعور الغموض في عظمتها الباذخة ، ذلك العالم الذي لم يحبه احد ، ويستحوذ على عقل الطفل .

ان (بلد العميان) و (باسيلوس المسروقة) ونشره (مجموعة القصص القصيرة) ١٩٢٧ كانت مناسبات عظيمة ان احدنا يستطيع صحبته في فتراته الاولى بصورة مباشرة ليصحبه وهو على يقين « من ان معجبيه الذين يلتقي بهم ، سيكونون على غاية من الاقتناع ، كما في السرد الحقيقي للتفاصيل والمهارة في التخصص ، ونجد هذا في (روبنسون كروزو) او (جزيرة الكنز) .

ويوجد اكتشاف آخر عميق وكاف في طـــريق الاتيان ، القصص الثلاثة التي تقوم عليها شهرته بلا شك وهي (كيبـــس) (توني بانك) تاريخ مستر بولي) . وفي هذه الكتب يتفوق ويلز (لاول مرة او ربما لاخر مرة) الفنان على ويلز المفكر . انها قصص بسيطة عن اناس عاديين . ولكنه اهتم بشخصياتهم ، وبالخلاف والشقاق الناتج في شخصيات الرجـــال القليلي الاهمية بسبب حضارة خاطئة .

ولقد سلك طريقه في مهاجمـة المجتمع ، مدخراً طاقة هائلة نامية ، وابتـكارا من ثروة استهزائية ، وبصيرة عميقة في مظاهر الاشياء الانسانية .

قصة (كيبس) ١٩٠٥ قصة روح بسيطة ، تخلصت بواسطة دراهم موروثة غير متوقعة من حياة جبر جوخي بشعة ، تافهة ، ! الى عالم الثروة .

فقد عشق احدى الفتيات اللامعات . ولكنه سرعان ما تبين خطيئته ، فتزوج الوصيفة بدل السيدة . ان مشكلة الصراع الفردي ، مع نظام اجتماعي غير مرضي ؛ بحث في قصة (تونو بنكي) قليـــلا . ولقد قضى (جورج بانديغو) سنيه الاولى في ظل نظام تقليدي قديم سام ، كما هو واضح في بلاد (سوفر) العظيم .

انه يثور على التقاليد الصارمة الزائفة ، يثور على العمل الشاق غير المسر في حزن (نيكو ديمس فراب) .

ويجد اخير ملاذا روحيا مع العم كوندرفو) في اختراعة الدواء االقوي (تونو نبـكي) وفي تقدمه الناجح خلال عـالم لندن الاجتماعي والمالي .

وتتجسم القوة الجديدة القاهرة للحركة التجارية التي لا ترحم ، والتي تستأصل اسس نظام المجتمع القديم .

ان عظمة الكتاب ترتكز في حقيقته على ان « هذا الموضوع الغميق لم يزده احـد تأكيداً » . فقـد اعطى الشكل الدقيق والقوة الخيالية في وصف امكنة « بلازوفر » و « لندن » والماردة الكبيرة الحمقاء من الناس .

ووصف بخصوصية اشد ، الرجل المعاصر « جون ون دفز » الذي يبحث عن الحقيقة ، والذي لايجد في بالنهاية المرة ، الا العزلة المطلقة في الافاق البعيدة .

انها قصة عظيمة تقارن بقصة غوزلورتي « فورسايت » وهي الهام بالمعنى المعاصر . ولكنها اعمق واكثر انسانية ان عالم الكوميدي الفني ، الذي اكتشفه ويلز في « كيبس » و « تونو بنكي » اتم تعبيره الـكامل قصه « تاريخ مستر بولي » هي ملهاة رجل ضئيل الشأن ، يماثل لادنى الطبقة الوسطى الفيكتورية .

ولاشك ان ويلز اذنشر كتابه « مستر بولي » ١٩١٠ وجد نفسه وجها لوجه امام ضرورة . اتخاذ القرار الذي سيغير حياته اجمع كـكاتب للقصة . لقد رأى ، ان الاداة التى اختارها ليظهر الخلاف بين الشخصية والبيئة ، لن تجدي نفع كبير في اتمام مثله الاعلى في اصلاح العالم ، ولقد هيمن الان ويلز المصلح العلمي على ويلز الفنان . هذا الاختيار كان قد عبر عنه في مقال واضح تحت عنوان « القصة المعاصرة » .

كتب اولا ١٩١١ ونشر مؤخراً في كتاب المقالات « انـكليزي ينظر الى العالم ! » ١٩١٤ يقول :

(ان القصة يجب الا تبقى منوما عاريا من الاذى ، تشغل كل ساعات فراغ الرجال الناجحين . القصة يجب ان تتحرر من القيود التي هي في نظره قد وصفت بشكل طغيان على تطورها الطبيعي من قبل النقاد (يجب العود !) طريقة الحديث المثير الهادىء لـ « فيلانيك » و « سترن » واذ ندخل تعبيراً اوسع حرية ، تستطيع القصة ان تصبح مايدعوه ويلز . « الادارة القوية في التفكير الاخلاقي » وهكذا فقط تستطيع ان تعكس النزاع المعاصر الكبير بين النظامين : القديم والحديث .

وتصل هذه المقالة القمة حيث يعرض القصة قائلا :

(المفكر الاجتماعي واسطة التفاهم ، واداة الاختبار . ومعرض الاخلاق ، وتبادل الاعراف ، ومصنع العادات ونقد القوانين والمؤسسات ، والافكار والعقائد الاجتماعية) لقد كانت فكرة عمل القصة انها قصة افكار . وكان هذا الضعف الاعظم في كل ما كتبه من قصص اخيرة

الصفة التعليمية هي الصفة المميزة الوحيدة في هذه القصص « جون وبيتر » « الزواج » « روح القسيس » « والدكر شينا البرت » « عالم وليم مميرلد » .

وفي هذه القصص تخضع الحوادث للنظريات وتموت الشخصية في صحراء النقد . وفي القصص التي كانت اكثر نجاحا ، كان يوجد هجاء يمدها ببعض القوة والحيوية ، وببعض الاخصاب الفني الذي يصف القصص الجيدة .

وما عدا القصة ، فالقسم الاكبر من نشاطه الخلاق « الذي كان دائما على جانب كبير من الغيض » قد كرسه لعرض مثله وارائه في كل شيء يخص الدولة العظيمة ، التي اعتبرها الحل لجميع مشاكلنا .

وجلب لكل معضلة نظرة جديدة ، ومدداً من معرفة واسعة مما يدعو ! الاعتبار ، لقد كتب في الثقافة ، ولعل اشهر ما كتب في ترجمته للمدرس الكبير (سنورسن) من « اوندل » تحدث عن الزواج والارتقاء ، وعالم التاريخ والعلم الشعبي والدين وعلم الاجتماع .

تتابعت نظراته دائما واضحة ، ولم تتناقض ابداً . ومن ورائها دائما ، تأصلت جذور أمله ، في ان يضيف شيئاً ! ، تقدم الانسانية ، وهذا الامل يلاقينا في درجة كبيرة وصغيرة في جميع اعماله ، ويعطينا حافزاً دائما وتأكيداً لجهوده .

ويرتبك احيانا ، ويغيب تأكيده ـ في تعويله عليها ـ في كتاباته الاقل نجاحاً .

ولكن هذا الامـــل لايضعف . فقد يبقى اعمق وحيا من الجميع . وان تردده السياسي الظاهري ، مفسر بحماس عالم حق ، تشبع بالنظريات السياسية الحربية والغيبانية لهيئة الامم وحزب العمال .

غير انه كان يجد نظرتهم في كل حالة ، وضيق مفهومهم مما ساقه الى نهاية الممر الوحيـــد الذي سار عليه الى دولته المثالية .

ان قصة متابعة ونحو ونشكيل عقائده ، تروي بامانه وبساطة جميلة لطيفة في كتابه الذي كثيرا مايقرأ واسمه «تجربة في التراجم» . لقد كان ويلز مثل « يولسس » عنه « تينسون » ، له ان « اتبع المعرفة وراء اقصى حدود الفكر الانساني » كالكون ذي النشيد .

ولقد عرف ايضاً الدافع الدائم ، لان يقدم هذه المعرفة الى اترابه . وشعر بكل البواعث الماسة التي يشعر بها النبي والمصلح .

ولكن طريقة الحياة التي نعيشها ، لاتدع مجالا لهذه الدقائق من التأمل الهادىء ، حيث ولدت شخصيات مثل « كيبس » وبولي » . لقد أثبت ايمانه في التقدم العلمي الذي ايقن ان البشرية تستطيع انجازه . اننا ندين له بالكثير مما نأخذ به كبديهيات .

وكان بين المجلين الاوائل ، الذين رأوا ضروره العمل ، وسددوا بعد ذلك السنان لهجوم على القوى التي تقوم برد فعل ، ولها غرض خاص . لقد اعطانا فكرة مدينة ، تقوم طبق خطة مرسومة . ومع ذلك فان كل اشواقه الى عالم جديد شجاع ، يأتي في آخر اعتبار .

انه اعادة خلق جديد خيالي للعالم القديم السيء ، الذي لا يمكن ان ينسى . وهذا سيعطيه مركزه الوطيد في تاريخ الادب الانـــكليزي .

محمد سعيد الكيلاني

امسية

« الى الرفاق الذين ضمني اياهم مجلس تحت برج الصبي » الاثري على هضبة « الباص » ذات مساء . »

« انور »

هل تشعرون رفيف الخلد يمنحنا ... ما نبتغي من هناء العيش والوطر ؟ ؟

بتنا كأن المنى ورد . . ونقطفه ... والليل حدث مشغوفا عن الخبر

والبدر يرمقنا .. هل نابه حسد ؟؟ ... ام ان بدر الدجى يهفوالى السمر ؟ ؟

صبحي نجوم اذا ماشئت تنسبهم ... سما بك الفكر فوق الانجم الزهر

« نصر » نجيب « على » مراثه « حسن » ... كم « حن » للنغمة المفناج من وتر

« يحيا » بنا الشعر مزهوا يؤنقه ... ضاف من الحسن في ابياتنا الغرر

نعمى العصور اطلت وهي ساهمة ... من برجها السامق الجبار كالقدر

ترنو الينا وتستجلي مجالسنا ... كأننا رجع ما قد مر من صور

كم طاف في الشاطيء الوسنان من زمر ... مشبوبة الوجد تروي الوجد عن زمر

وكم على الشط من حسناء سامرها ... موج شغوف بحسن آسر نضر

والبدر من حولها يلقي حبائله ... كأن في البدر مافي القلب من شرر ؟

مرت سراعا ومرت اثرها امم ... والبرج باق .. وعين البحر في سهر

والصمت يطبقه حتى لتحسبه ... ما مر في شطه ركب مع السحر

لولا بقية عطر است تخطئها ... في حالم الرمل .. او باق من الاثر

◌ ◌ ◌

غداً يحدث عنا برجنا وكما ... يروي الحديث عن الماضين في الغير

◌ ◌ ◌

◌ ◌

◌

بانياس انور امام

ادب المذكرات

بقلم : عيسى فتوح

لو احصينا قراءات القــراء ومطالعاتهم لرأيناها تستقطب حول لون يـكاد جديدا في ادبنا العربي . هو ادب المفكرات او المذكرات او ادب السيرة الذاتية . هذا ماعرفه من نفسي التي انجذبت باكرا الى دراسة العظماء في مذكراتهم ، وسيرهم ، والى سماع احاديث من رافقوهم او كانوا الصق الناس بهم ، فعرفوا كثيرا من خصوصياتهم . واسرارهم ، وكثيرا من جزئيات حياتهم المموجة حينا ، الصاخبة الفضفاضة غير حين ...

فلماذا اذن يستهوينا ادب المفكرات ؟ ولماذا انتشر هذا الانتشار الهائل في الشرق والغرب ؟ بعضهم يكتب سيرة حياته بنفسه ، كما فعــل الاديب المهجري توفيق ضعون في كتابه « من وحي السبعين » فقسم حياته الى أربع فترات تنتهي في السبعين ، اطلق على كل فترة اسم فصل من فصول السنة : الربيع ، الصيف ، الخريف ، الشتاء والواقع ان عمر الانسان يمر مرورا طبيعيا بهذه المراحل ، من فتوة وشباب ، ورجولة ، وشيخوخة ، وهرم وموت .

وقد يختلف موت الطبيعة من فصل لاخر ، فنحن نعتقد ان الطبيعة تموت تقريباً في فصل الشتاء ؛ فبينما كان اليونان القدماء يمثلون موت الطبيعة في فصل الصيف ، فصل الجفاف واليباس ، وشح المياه . وليس غريباً عنا ماكانوا يقومون به من مشاهد درامية تمثل موت ديونيزوس اله الخصب والخمر ، وفي تلك الحفلات التي يشترك فيها الكبار والصغار من كلا الجنسين كانت تكثر ضروب العربدة والخلاعة والمجون والتهتك .

وميخائيل نعيمة بعد ان نجح نجاحا باهرا في كتابته سيرة جبران ، ورفيق صباه . عاد فاتحف المكتبة العربية



بكتابته سيرة حياته في « سبعون » الذي مثل ثلاث مراحل منها ، روى فيها ادق الاشياء واشــدها كتمانا ، فعرى نفسه واضحها أشد الوضوح . ومثل هذا فعل المرحوم الدكتور احمد امين في « حياتي » وتوفيق الحكيم في « عودة الروح » والشاعر القروي في مقدمة « القرويات » وهيلين كيلر في « قصة حياتي » وطه حسين في « الايام » هذا الكتاب الذي يعد اروع ، واجمل ، وامتع ما كتبه طه حسين وبخاصة في جزئه الاول . وقد اشيع مؤخراً ان طـه حسين سافر الى شمال ايطاليا ليتفرغ الى كتابة الجزء الثالث من ايامه ، بعد ان بلغ السبعين !

فلماذا يحرص كبار الادباء والفنانين والمخترعين على ان يكتبوا سير حياتهم بانفسهم ؟ ولماذا يجعلون السبعين نقطة ارتكاز لانطلاقهم في كتابة سيرهم ؟

وللاجابة على السؤال الاول اقول : ان كل انسان يحرص على ان يعطي صورة صادقة عن نفسه ، صورة خالية

من الكذب والتمويه والتزوير ... فاذا كتب الانسان سيرة حياته بنفسه اعطى لها شكلا دقيقا قريباً من الواقع اما اذا افسح المجال للاخرين يكتبونها فلا بد ان يدخلوا عليها، او ينقصوا منها، وربما كان في هذا الادخـــال والنقص تشويه صارخ لها ... ناهيك عن ان من يكتب سيرة غيره قد يحـــذف اشياء لا يستسيغها ذوقه، ويزيد اشياء ليس لها اصل، لانه استقاها من مصادر غير امينة، ثم لم يعمل فكره فيها، فيدقق في اسنادها وطريقه وصولها اليه، هذا اذا كان المؤلف لم يعايش صاحب السيرة او لم يعاصره .. ومن هنا كانت المسؤولية الكبيرة التي تقع على عاتق الـكاتب السيرة، اذ عليه ان يتتبع كل جزئية تتبع الواعي، المهتم، الصبور الذي يضحي بعمره ليقتنص المعلومات، ويصطاد الاخبـــار من اعمق مواردها حتى يستطيع ان يكتب سيرة حية خالدة، صادقة وامينة.

اما لماذا يجعلون السبعين نقطة ارتـكاز لهم فلأن هذه السن تمثل منتهى العمر تقريبا، وقليلون جداً هم الذين يطمعون بحياة مديدة بعد ذلك .. ومن يدري فلعل الصحة والهمة لن تواتيهم بعد السبعين، فقد يخرف الانسان او يضيع وعيه الـكامل، وقد يزهـــد في عملية التدوين الشاقة المجهدة.

وهناك من لا يجلس لكتابة سيرة حياته، ولكنه يمهد الطريق لمن سيكلف نفسه هذا العبء بمذكراته الخاصة التي يتركها، فهي لوحات ترسم حياته في جميع منحنياتها وتعرجاتها وامتداداتها في يسرها وعسرها، ولينها وشظفها وسعادتها وبؤسها، ويأسها وفشلها وحبها ... ان اعترافات روسو كشفت النقاب عن حياته المتقلبة، واباحت بالكثير من اسراره وخباياه ... ولا اعرف شيئاً يرسم الانسان كما هو مثل المذكرات والرسائل الخاصة التي يبوح فيها عادة بما لا يبوح به للغير، لاعتقاده ان ما يكتبه لنفسه ولنفسه فقط ... وكثيراً ما يجد الراحة والطمأنينة والسلوى في هذا البوح للمفكرة، فتهدأ نفسه بعد اضطراب، وتستسلم بعد ثورة، وتذعن بعد تمرد. وتقنع بعد توتر عارم يجتاح النفس ايما اجتياح، وبخاصه عندما تكون المذكرات من النوع العاطفي. فقد يعجز العاشق عن الاتصال بمن يحب او الكتابة له عما يمور في صدره ويعتمل في ذاته، ولذلك يكتفي بتدوينه في مفكرته ليس غير! فاذا مـــاتم ذلك اصبحت كتابة السيرة من اليسر بمكان، واغنت مدونها عن الاتصال بالآخرين بغية جني المعلومات.

لقد سار ادب المفكرات سيرورة مدهشة في السنوات الاخيرة حتى كاد يطغى على ادب القصة ويطيح به، مع ان القصة وسعت لنفسها وتربعت في صدر الادب منذ سالف الزمن، والسبب يعود الى رغبة الانسان الملحة في معرفة اسرار الآخرين، وبخاصة العظماء الذين ينفقون اعمارهم تحيط بهم علامات التعجب والاستفهام، فكأنهم سر مبهم، ولغز يكاد يعصى فهمه .. ان حياة العظماء تبقى مغلفة دوماً بالسحر والغيبيات، ومغلفة بضباب الوهم والاسطورة التي ينسجها حولهم مقربوهم وكاتمو اسرارهم، وحـــاشيتهم التي تذيع في الناس غير ما يجري في الخفاء خلف الجدران الذهبية والغيب كان وما يزال موضع تلفت البشر واستفساراتهم وتساؤلاتهم: لماذا صار هذا العظيم عظيما؟ ماهى الدوافع والمؤثرات والظروف التى حاقت بهذا العبقري حتى تفجرت عبقريته؟ هل يعود ذلك الى وراثته او الى محيطه؟ ربما كانت هنالك حوادث خارقة للعادة والمألوف ساهمت في نجاحهم!... كل هذا يحدونا بعصف الاكتشـــاف السر الغامض في حياة عباقرة الفن والادب والعلم، هذه الحياة الفريدة المعقدة.

ولو فتشت ادراج العظماء لرأيتهـــا محشوة بشتى القصاصات تتضمن تأملاتهم اليومية وانطباعاتهم وآرائهم، فقلما يسهو عظيم عن تدوين دقائق حياته، التافه منها وغير التافه ليقينه ان مدون سيرته يوم ما لابد محتاج حتى الى هذه السخافات! ذلك لان النفس البشرية يتجاذبها تياران من الجد والهزل والقوة والضعف، فـكم من عظيم ينفلت في ساعة لهو ومزاح من اسار عظمته ورسمياته ليعيش كما يعيش الصغار تماماً، وتحضرني الساعة قصة عن بشار يعرفها اكثرنا، وهي ان سائلا سأله: يا بشار كيف تقول:

ربابه ربة البيت   تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات   وديك حسن الصوت

شباب الاربعة أرباع

بقلم : رجاء ابو شنب

تلمس عبده جيوبه وهو يغادر المقهى ، متفقداً اخر آخر ربع ليرة باقية ، وذلك كي يطمئن الى انه يستطيع ان يصل بسلام الى البيت المختبيء في حي متواضع بعيد ،

كانت الباصات تتعاقب محاذية للرصيف دون ان تتوقف ، ولكن انتظر عبده قليلا آملا في ان يستطيع اخر الامر ان يجد مقعدا بأحدها ، وخطر له في ابتسامة صغـيرة انه بات هو ايضاً واحـدا في دنيا شبيبة الاربعة ارباع . وذلك ان واحد اولئك يلوح وكأنه بطل وسيم في فيلم اميركي انيق ومع ذلك فهو لا يملك سوى اربعة ارباع الليرة في جيبه ، وربما اخفت اناقته الظاهرة ثيابا داخلية شديدة القذارة بعض الاحيان . كان عبده يراهم ويعرفهم عندما يغادر داراً للعرض بعد فيلم لصوفيا لورين تكثر فيه البنات ، اذ كانوا ينتصبون بكبرياء وراء واجهة دكان لبيع الساندويش ملاصقة لدار العرض تماما ، وشواربهم المقصوصة بارهـاف تتجعد ببشعة في مرافقتها لحركة الفك المستغرق بالمضغ .

ومع ذلك فقد كان اولئك الشباب يملكون على الاقل اربعة ارباع الليرة واتسعت ابتسامة عبده وهو يتذكر انه لا يملك الا ربعا واحداً ،

وطال انتظاره والباصات ما تزال مزدحمة بالركاب تجتاز طريقها دون ان تتوقف .

ثم اقتراب عبده اسفاً من سيارة مرسيدس صغيرة ذات لوحة عمومية حمراء وظهر اذ ذاك رأس السائق في اطار النافذة المفتوحة وصاح :

– باب توما ، سرفيس .

وفتح عبده الباب باليد الواحـدة ، واليد الثانية غارقة في جيبه بوضع لا مبال متكبر ولكن تقبض في الواقع على ربع الليرة بقلق ، وكأنها قابضة على طائر خطر

وانت القائل :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما !

فقال : تلك اشياء كنا نلهو بها في الحداثة ، ولعمري ان قولي : ربابة ربة البيت الخ .. خيراً ألف مرة من : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل الخ .. وهذا قلته في ربابة جاريتي التي تطعمني الدجاج والبيض ، فانا لا اشتري البيض من السوق !...

هذه القصة تدلنا على ان العظماء قد يتدنى مستواهم العقلي فينحطون الى اخفض الدركات ، ويغلق عليهم كل تفكير مثمر ناجح سليم ، حتى لتكاد تنكر ان ما يكتبونه في مثل هذه الاوقات هو لهم ومن خلق تلك العبقريات الفذة !

لم تعد كتابة المذكرات تقتصر على العظماء وحدهم فحسب ، بل صار صغار الكتاب وحتى الناس العاديون يزاولون كتابتها على ما فيها من عسر اذ هي تحتاج الى الفراغ والاناة في التفكير ، على ان فوائد كتابتها ، والمتعة التي تنجم عن قراءتها تفوق بكثير الجهد المبذول في اعدادهـا ، ويكفي انها تصقل ملكة الكتابة وتمرن الذهن واليد بان معاً ، فكم بيننا من يفكر بزخم وعمق ويأتي بالف صورة ومعنى ولكنه يعجز عن وضع ذلك على الورق .

دمشق – عيسى فتوح

ليس غريباً ان يفلت بغتة ويطير وارخى ظهره باستسلام لطراوة المقعد الوثـــير ، تغمر انفـه وبلذة رائحـة الجـــلد الجديد .

ودخلت فجأة وراءه بنية جلست بقربـه تماما ، وازهرت في قلب السيارة الصغيرة في ذات اللحظة ، دنيا شـــديدة الحســـاسية وشديدة التعقيد . تشرتها مـــع خفقة تنورتها نسمة شـديدة الانوثة . ولكن ياالهي ما الذي جاء بندوى من بيتها في الحي كي تجلس هـكذا بقربه .

كانت شقراء ناعمة ، وجهها مرهف النسمات تشيـع فيه نعمى نورانية رائعة تزيده نقاوة ، وبدا الجسم صغير صغير الاعضاء في ثيابها الجميلة الجديدة ، فيقل اغراءاً مشوبا حادا يفصح عن عام خامس عشر روائع العمر .

وكان عبده يستطيع في ظروف اخرى ان يسلم عليها ببشاشة وان ترد هي السلام بحذر في الفم ولكن بتشجيع في العينين ، وان يتبادلا كلاما رقيقا ودوداً ، لجمع احلام قلبيهما بحنان في نور السيارة الخافت ، كان يمكن كل ذلك مثل بداية قصة عاطفية عظيمة الغبطه ، لولا .. انه يترتب عليه عندها ان يدفع اخر الرحلة ربع ليرة اخرى صغيرة شديدة الحقارة لدرجة انها لم تكن موجودة في جيبـــه .

وتذكر زيارته منذ ايام لمطعم « الواحة » كان جائعاً يفكر اين يمكن ان يتناول وجبة الغذاء ، وكان صديق موفق جائعاً ايضاً ، وخطر لهما ان يتناولا الطعام في مكان هين الاسعار عند الدفع .

وكان عبده قد اعتزم سراً بينه وبين نفسه ان يدفع قيمة طعام صديقه موفق ، ولـكن عندما غادرا لمقهى تودت نظرته على نوافذ مطعم الواحة كما لو انه لسوف يصل منها الى داخل المطعم ، وتأخرت نظرته بحيرة وراء امرأة رائعة ايضاً اختفت قامتها في مدخله ، وتمهل قليلا ثم التفت يسأل موفق :

ما رأيك في ان نتناول الطعام هنا !!!

موسيقا هادئة وانارة خفيفة ناعمة ، وزجاجة نبيذ ، وطعام مترف ثم زبائن عظيمو الترف كلها اغراءات نافذة شديدة الخطورة مثل .. انثى ، انثى . ولا بأس ان يغامر الانسان ذات مرة بمبلغ عشر لـــيرات في سبيل سعـــادة صغيرة .

ولكن وقع خطأ بسيط في الحساب واخطر عبده لان يدفع مجرد ستة وثلاثين ليرة ، ستة وثلاثون !! انه لن تزيد في احسن حالاتها عن مائة واربعين ربع ليرة ومع ذلك فليس معه قطعه واحدة منها الان كي يستطيـع ان يبتسم برقه هذه لوجه البنية مذهبة الشعر والوجه ومحروقة الشفتـــين .

وخشي عبده لحظة ان تمتلىء السيارة فورا بوجود هذه البنت المدهشة فيها ، ولكن بدا له ان اكثر الناس يختلفون عنه تماما وانهم غير متعجلين بالمرة ينعمون هم ايضاً بانتظارهم المتمهل عند الموقف ، ولم يكره عبده ذلك ابدا وشعر بامتنان صامت مخبوء في صدره وتخيل في غيمة حالمة غمرت حدقتيه ان هذه السياره اجمل من كوخ منعزل على شاطيء للعشاق مذهب الرمـــال ، واستغرق بكسل يستمتع لخواطره الحبيبة التي لن يفطن اليها احد .

وفكر في ابتســامة واسعة بين شفتيه الســافرتين لو ان كل ربع ليرة يمكن ان يقترب منه الى هذه الدرجة انسانة عذبة الحياة مثل هذه البنت ، كما لو انه يلقي ذات يوم بقطعة نقود صغيرة في بئر محور للحظ والحب فيتموج الماء قليلا ثم تظهر على صفحته قسما دقيقة مجلوة جيداً كاوراق زنبقة بيضاء مائية تطفو مفتحه الادر ان لو ان كل ربع ليرة تستطيع ذلك لـكم كانت الدنيا عندها تبدو وكأنها طيبـة القلب ويمكن ان تعاش حقاً . مائة واربعة واربعون ! ! كم يلوح هذا المبلغ اذ ذاك مثل السمك الذي باركه المسيح لا ينفذ وتبهظ سعادته القلب الفقير .

ثم دخل راكب جديد اتخذ مكانه قرب السائق ، بينما ظلت البنية الصغيرة لا صلة به وكأنها له . ومع ذلك اذا سلم عبده عليها الآن ببشاشة وردت هي السلام بحذر

في الفم وتشجيع في العينين جرى كل شيء مثل بداية قصة عاطفية عظيمة الغبطة . اذا تم كل ذلك بينهما ، كيف يمكن ان ان تجرى الامور بعدها .

وما دامت الاحلام لا تكلف صاحبها ربع ليرة في اخر المطاف فقد ترك عبده الصور تتعاقب في مخيلته بجرية و كسل .

كان يمكن بكل بساطة ان يحبها حباً حزينا ، دون ان تحبه ـ هي اول الامر .

وذلك ان العام الخامس عشر مغرور القلب وقاسي الانانية ويعرفه عبده جيداً . غير انه سوف يحبها اصلا لانها في عامها الخامس عشر مغرورة القلب وقاسية الانانية ، وبعدهما لابد ان يجيء اليوم وتحبه هي مثلما احبها ، وكل القصص العاطفية العظيمة لا بد وان تبدأ هكذا .

واشترى لها بالخيال اغلى زجاجات العطر وذلك ان انفها الناعم الدقيق يجب ان يشم للحياة رائحة استثنائية مذهلة ولو مرة .

وكان يصحبها الى مطاعم فخمة مدهشة الامسيات لان كل حبيبة يجب ان يكون لها اماسي مدهشة ولو مرة .

وكان يهرب مع البنية في سفرات قصيرة مسروقة الى الى المصايف القريبة يقضيان فيها ساعة فريدة المشاعر وكل قصة حب ينبغي ان تكون فيها ســاعات فريدة المشاعر ولو مرة .

ثم تراكمت الديون ، وفقد عمله .. واختفت البنية بلا قبلة وداع صغيرة على اطراف الشفاه المحروقة ، الا انه رغم كل شيء مايزال ولوع القلب بعالم البنيات .

خيل الى عبده ان هذه الجارة الصغيرة المتجمعة بلصق كتفه لابد وانها كبرت ، وصار عمرها خمسه عشر عاماً خصيصا كي تحرق قلبه بمجرد ان تحرق قلبه .

ومع ذلك فالقلب عندما يحترق يحس انه يعيـــش والقلب الغامر بالحب يجب ان يحترق ، ان يحس انه يعيش .. في كل مرة .

ثم توقفت السيارة مثل اسف خاتمة قصة ماتت في اولها ، ومد يده يدفع للسائق قطعة النقود اليتيمة ، وظل قابضاً في مكانه لحظة ثم فتح الباب وترك السيارة ، ولكن ظلت راحته مسترخية على مقبض الباب وخطر له ان يظل ممسكا به ريثما تنزل هي ويستطع ان يدفع كل اشواق عينيه في عينها مثل وداع صامت بلا كلمات ، وربما يمر عام او عشرة اعوام او العمر دون ان يلتقي بها ثانيه هكذا وحدهما ، قريبين من بعضهما متصلي المشاعر في السكوت العميق ،

وظهرت هي في مدخل السيارة ولاحظ عبده في خفقة قلب مدهوشة ان في عينيها شيئاً مبهما كأنه عرفان جميل غامض لانه اهتم بها ، وقدم لها هـذه الحركة المتوددة المهذبة مثل هدية صامتة .

ونزلت بخفة ، تحقق في وجهه رعشه تنورتها الحلوة ، وتجاوزته بلا اي سلام ،وتردد كثيراً وود لو يستدير نحوها كي يتأكد ان ذلك الشيء في نظرتها كان حقاً متعلقاً به الا نه لو كان كذلك فسوف تستدير هي الاخرى نحوه بوجهها الاشقر المرف القسمات كي تتأكد انه ينظر اليها ،وانه ظل ممسكا بالباب ريثما تنزل بعيداً عن انحناء الرجل امام الانوثة الفتيه او من يدوي ربما شاب عينيها المتسائلين بفضول شيء من العتاب اذا التقتا بغته لـــاذا ! لماذا لم ينقل اليــــا اهتمامه الا في اخر الرحلة .

واتجه عبده نحو حارة متواضعة تنفصل عن الشارع الرئيسي معتمة المدخل قليلا .

احس بانتعاش مباغت وهو يطأ الاسفلت في حارة بيته ، وذلك ان الانسان في حارة بيته يستطيع ان يمر على دكان ابي فاروق وان يسحب منه علبة دخان بالدين ، ويجلس على كرسي صغير ريثما يدخن متمهلا سيكارة يتمتع بانفاسها حتي اخر رمق .

واقترض عبده بعد ان رمى عقب سيجاره ليرة كاملة سجلها ابو فاروق في دفتر عســـير الحسابات مثل دفتر الدينونة الاخيرة .

ولكن ماهمه الآن !؟ فقد كان يقف في اطار باب الدكان وسيم القامة مثل بطل فيلم امير كي انيق ،وكانت في جيبه اربعة ارباع الليرة ، وهو يستطيع الآن ان يذهب الى اي محل الساندويش عند اي دار للعرض ، واذا كانت القصة المعروضه من بطولة صوفيالورين فسوف يتاح له ان تمر كل الدنيا امامه مجاناً ومن يدري لعله ذات يوم يستطيع ان يحب واحدة من هؤلاء الجنيات الصغيرات بقلبه الذي سبق ان خبر قماشه .

قصة

« نمر البحيرة »

بقلم : ميلاد نجمة

الارض تبدو جافة وكأن لم يمر عليها كانون بامطاره واوحاله ، والسماء تتكاثف فيها السحب منذرة بمطر غزير والبحيرة تتبدى لعيني العريف خليل عباس هائجه مضطربة بالرغم من الهدوء الذي يرين عليها ، اتخونه عيناه ؟ ام انه يراها بعين الخيال والتصورات الباطنية .

علق خليل سلاحه على كتفه واصلح من هندامه وتفقد حافظة نقوده ، وقبل صورة لولده الصغير واعاد الحافظة الى مكانها في الصندوق وتطلع الى رفاقه وهم يتناولون الفطور وكادت عيناه تظفران بالدموع وتأوه .

قال له احدهم :

– الله يعطينا خيرك ياعريف خليل انت اليوم على غير عادتك .

فلم يجب خليل وتركهم دون ان يقول لهم اين ستكون وجهته ، غير انهم صمتوا واجمين وقد لاحظوا ان العريف خليل لابد انه ينوي فعل شيء خطير .

شعر خليل ببرودة تسري بين اعطافه وتمنى لو ان الطقس يظل على حاله .

جد في السير دون ان تحين منه التفاتة الى الوراء ، وتناهبه افكار متعددة ولم يستسلم لاي منها .

تناهى الى سمعه صوت آت من بعيد فانبطح على الارض واخذ يطبق شروط المراقبة :

تلك هي صفد التي حدثه عنها احد الجنود القدامى الذين اشتركوا في حرب فلسطين ، وهذه طبريا تستلقي على سفح الجبل .. وهذه وتلك ، كلها ارض العرب .

واذ ايقن ان ليس ثمة شيء يعيق تقدمه ، تابع طريقه .. ذات الطريق التي رسمها في خياله قبل ان ينطلق .

ان خليل المرتدي بذلة العمل والمنتعل جزمة من المطاط ، والمشعث الشعر ، والمتقلد بندقيته العزيزة عليه مع خمسة مخازن مليئة بالطلقات والقاصد وجهة لايعرفها احــد ســواه ، ، هو غير خليل بين رفاقــه في المخفر .. خليل الوادع الهادىء الذي لاتفارق البسمة شفتيه فهو في المخفر يحدثك عن طفولته المشردة وكيف تطوع في الجيش وتزوج وانجب عدة اولاد ، ويريك صورهم مجتمعين ويقسم انه سينفق على تعليمهم كل جهده ، حسبه هو ان نشأ امياً ، وامله كبير في ان يرى اسماعيل ضابطا لامعاً ويروي لك مغامراته الانتحارية مع شراذم اليهود في الارض المحتلة منذ طأت قدماه ارض الحدود قبل سنوات اربع . فما تحدث حادثه في المنطقة الا ويكون خليل بطلها الاول حتى باتوا يلقبونه (نمر البحيرة) ويقول لك باعــتزاز :

خليل يرى يهودي امام عينيه ويسكت ! عيب هــذا الكلام طالما في خليل عرق ينبض .

كان يسير في الوادي بشكل طبيعي حتى اقترب من طاحونة مهجورة قرب بحيرة طبريا ثم شاهد رافعة يهودية تعمل في الاراضي المجردة مقتربه من الاراضي العربية تحميها جماعــة ، وغير بعيد منها يقوم اشخاص خمسة باعمال هندسية .

ساءل نفسه في الطريق مرات عديدة ـ ايصل الى مسافة

قريبة من الهدف دون ان ينكشف ؟ ايعقل ان يكون هؤلاء الخمسة بدون سلاح ؟ واذا وصل بامان ايمكنه ان يقتلهم كلهم ؟ هل يصطدم بالحماية اليهودية المسلحة ؟

لم يحاول ان يجيب على هذه التساؤلات حسبه انه مصمم على الوصول الى الهدف وتدميره وانه لواثق من النصر . وهذ الشعور بالذات يوقد جذوة حماسه واندفاعه فليست هذه هي المغامرة الاولى التي يخوضها مع العدو ، الا انها تحتاج الى ضبط اعصاب شديد .

وصل الى ارض مشجرة ينبت فيها قصب السكر وبعض النباتات ، فسهل عليه التسلل بين الاشجار وغاب ذهنه في تدبير الخطة للقضاء على الاشخاص الخمسة « ترام يطلقون اسمه على احد التـــلال فيقولون تل عباس كما يقولون الآن تل المالكي وتل قره شولي وتل عطار ، ام انه سيعقد راية النصر ويعود الى كتيبتة شامخ الرأس »

افاقه من تصوراته هذه وصوله الى الارض المكشوفة ورؤيته احد الاشخاص الخمسة وهو يتطلع باتجاهه ، فانبطح واخذ يزحف والبارودة بين يديه . توقف قيلا واجرى عليها حركتي امان ومسحها من الاوساخ التي علقت بها وتطلع الى ساعته فاذابها لما تتجاوز العاشرة صباحاً ، ساعة وعشر دقاق مضت على انطلاقه .

تابع تنقله بحذر بعد اذ رأى الخمسة اياهم منهمكين في عملهم : احدهم يلصق عينيه على جهاز يرتكز على قوائم ثلاث واثنان يتطلعان في خريطة مفروشة امامها ، والاخران يتجولان وبيد كل منهما اشياء لم يعرف خليل ماهي تماماً . هل هم مهندسون يقومون باعمال طبوغرافية ؟ ام هم فلاحون ؟ ؟ ام ماذا .

تذكر تنبيهات قائد السرية للجنود « عليك ان تضبط اعصابك وتفاجيء العدو وهو ضمن المدى المجدى لسلاحك » فليضبط اعصابه ، مازالوا بعيدين . وضع يده على قلبه فالفاه ينبض كالعادة دون تسارع فاستشعر بالفرح بينه وبين نفسه واحس بالدفء يدب في عروقه فيحيل دمه الى كتـلة ملتهبة ،

كانت مشيته في الارض المكشوفة لاتخفيه عن الانظار فاضطر ان يزحف مسافة خمسين متراً كثرت حركة الاشخاص وتفرق بعضهم عن بعض . . كان يود ان يقضي عليهم برشة واحدة « اذا قتلتهم هل سأضمن العودة سالما ؟ من يدري !

كانت نسمات الهواء تداعب سيقان المزروعات بملامسة رقيقة فتتمايل هـــذه بدل العروس يوم زفافها ، والبحيرة هادئة تلقي الزبد على ضفافها ، ووسط هذه الطبيعة الساكنة يشق خليل طريقه غير مكترث ؛ سيحدث معه .

« امش يا ولد ، اعصاب والحمد لله قوية يروح خليل ويأتي خليل غيره » .

قدر المسافة بينه وبين الاشخاص فاذا هي لا تعدو الخمـــين متراً ، فتوقف عن الزحف وانبطح على الارض وسدد باتجاههم ، وقبل ان يضغط بيده على الزناد اخذت عشرات الصور تزحم مخيلته ، وباتت هذه الضغطة هي الحد الفاصل بين استشهاده او انتصاره .

انه ابدا لم يعرف التردد خلال مغامراته الســـابقة لكنه في هذه المرة وبعد ان القم السلاح بهدوء لم يستطع ان يطرد هذا الشريط من الصور الذي يتتالى بسرعه امام عينيه . المخفر .. ورفقاؤه . قائد الكتيبة .، بيته البسيط في قرية من محافظة اللاذقية .. زوجته الحنون التي ترتقب منه رسالة منذ امد .. ابنه اسماعيل ، ضابط المستقبل ، تمتم فيما بينه وبين نفسه : ساعود واراكم كلـكم ، وسدد نحو الشخص الذي يتملى في الخريطة وضغط على الزناد وبسرعة فائقـة سدد نحو الآخر واطلق ، وفي غمرة هذه النشوة سدد على الثالث وقتله . واذا بدد الصوت سكون الطبيعة ولى الأخرون الهرب تاركين ادواتهم قبل ان يدركهم خليل بطلقاته ، غير انه اطلق على احدهم وهو يركض ولحق به ، وكانت النيران انصبت عليه من جميـع الجوانب ، فخيل اليه انه لن يتمكن من اجتياز هذه النيران الكثيفة المنصبة عليه ، وان لم تصبه طلقات العدو فسيقع اسيراً . وفي هذه اللحظات الغنية من عمره قرر ان يؤدي المهمة كاملة ، وعاد الى حيث كان الاشخاص الخمسة يعملون ، وجمع الغنائم التي استطاع حملها . بوصلة وجهاز تصوير ومنظار وجهاز طبوغرافي ودفتر مذكرات .

فكر قليلا في الطريقه التي يسلكها في العودة وامتد نظره الى الجبال التي يخيم خلفها الاصدقاء وبانت له القرى العربية فشعر بفرحة عميقة تفجر كيانه ، « اطلقوا النار يا او غاد » خشي ان يكمن له الاعداء في متعرجات الطريق التي اتى منها ، فاختط طريقاً غيرها وبعد ان قطع شوطاً بعيداً دون ان يطلق اية طلقة ادركه التعب وشدة العطش فارتمى على الارض بعض الوقت وهو غير مصدق انه دخل الاراضي العربية .

●

لم يعرف رفقاء خليل في المخفر كيف ذهب وكيف عاد ، كل ما يعلمونه انه غادرهم في الصباح متجهم الوجـه عبوساً ، وها هو يعود وعلى محياه التي نور ني ، متقلداسلاحه حاملا امتعة متعددة .

وقف خليل امامهم قائلا :

مرحباً شباب ، جرعة ماء بالله عليكم فرد الجميع : اهلا اهلا بالعريف خليل ، الحمد لله على السلامة ، اقعد احك لنا ما فعلت . الا ان خليل لم يقعد بل تجرع شربة ماء وتابع وهو يقول : بعدين احكي لكم كل شيء ، اما الآن فانا ذاهب لاقابل قائد الكتيبة

دمشق ـ ميلاد نجمة



ادب بودلير

« الشاعر الرجيم »

بقلم : محمد نجيب حوا

الخيوط الشائكة الملطخة تتزاحم في سيرها وتشابكها لتجرح كبد السماء وغيمات وردية مذعورة ، كانت تتمسح بالظلال المنسابة من اديم الارض ، والتي كانت تحاول ان تهرب من مدار السماء القاتم . وموجات صخرية قوية كانت تصفع وجود فرنسا فتحطم مالديها من قيم .. ومن مفاهيم فتزيد من حيرتها في هذا الوجود اللامتناهي .

ولقد شاءت سيطرة الكنيسة والاقطاع ان تشكل كل نبضة عضلة من فؤاد فرنسا . فاستكانت ذليلة حتى اشرقت شمس القرن التاسع العاشر ، فانسابت حرارتها اللاهبة وغزت العروق في حجورها واوكارها ، وكان أن انتشت فرنسا .. وابتدأت الالوان القاتمة الملتهبة تصفع وجه سماء ذات « بودلير » فتحيلها الى ستائر سوداء مهترئة حاوات ات تكبل « الشاعر الرجيم » فهرب منها بعيداً .. وابتدأ يغزل من تواتر دقات قلبه اجواء مشرقة ، وآفاقا منسابه سداها الغزل البريء الفاتن ، ولحمتها شاعرية فياضة تذيبها النفس وتقذف بها في اودية مسحورة مضمخة بالعطر والظلال :

« على جسدك يحوم العبير ⊙
« حومانة حول مجمرة النجوم
« شعرك الاثيث الكثيف الغور
« ذو العبير الفاغم الحاد
« كبحر من العطر الرجراج لا يستقر
« أمواجه من زرقة وسواد »

« ومن فرعها الى قدمها
« يتضرع حول سمرة جسمها
« نفحة فاغمة وشذا ذو خطر »
« ياشعرها ! ياللعطر المشبع بالفتور !
« لئن هفت النفوس مع حلو النغمات
« فان روحي – ياحبيبتي – تسبح من عطرك
في غمرات »
« حين اكون الى قربك في ليلة دافئة من ليالي الخريف
« استنشق مغمض العينين شذا صدرك الحار
« تتراءى لي شواطيء سعيدة
« تسطع عليها شمس متوهجة صالبة لاتتغير »
« هي جزيرة متفترة كسلى
« حبتها الطبيعة اشجارا فريدة وثمارا شهية
« ورجالا اجسامهم ممشوقة قوية
ونساء يخلبن اللب بنظرتهن الغنجة الناطقة

* * *

« ويحملني شذاك الى آفاق ساحرة
فكأني بمرفأ يحفل بالقلوع والصواري
وهي لما تزل منهوكة من عراك اللجج
وهكذا أريج شجر التمر هندي
متضوعاً في الفضاء يفعم حسي
ويمتزج باغاني الملاحين في نفسي »
« من رآك تخطرين
ياحلوة السجية
يحسبك افعى ترقصين
على طرف العصية »
« في غلائلها الهفهافة المتلألئة
تمشي مشيتها فتحسبها راقصة
كتلكم الافاعي الطويلة المائسة
يرقصها على اطراف العصي حواة المعابد المقدسة »
« في البلاد المتضوعة بالعطر التي تداعبها الشمس الساطعة
وتحت ظلة ظليلة شجر وارس أرجواني
ومن نخيل تفيض على الاجفان فتورا
عرفت غانية مستوطنة ذات فتنة لاعهد بها »
« لونها شاحب حار ..
وهذه الفاتنة السمراء
ذات جيد مشرف السمات نبيل الالتفات
مديدة القامة هيفاء
كأنها طاردة قانصة
لها ابتسامة هادئة وفي عينيها ثقة »

وبانطلاق «بودلير» في سماء فرنسا استطاع ان يحطم القيود القديمة التي كبلت الفن واتخذت منه حرفة ، فتحرر من كل هذا وشن غاراته ثانية بقيم ومفاهيم جديدة . . تكشفت امام ناظريه فآمن بها فكان مبدعاً ومبتكراً في اكثر من ميدان .. « كان اعظم شعراء عصره ، واعظم نقاد زمنه ، وكان مترجماً بارعا ومن مبتكري الشعر المنثور الحديث .. وكان عدا كل هذا مؤلف رسالة رائعة عن تأثير المخدرات .. وحامل لواء بعض الآراء الرفيعة عن الحياة والحب والسياسة . وقد تأثر « ت. س. اليوت » بالشاعر الرجيم كما اعجب به وحين يعجب « اليوت » بشعر بولير ونقده ، يقرر ان عظمته تتجاوز ما شاع خطأ من انها مقصورة على اتباعه نظرية الفن للفن ، فهذه النظرية في عاقبة امرها مزج للادب بالحياة ، اذ يرى اصحابها في الفن عوضا عن كل شيء آخر ، ووسيلة لتصوير العواطف والاحساسات التي تنتمي طبيعة للحياة اكثر من انتمائها الى الفن ، ثم يذكر ان الفن للفن ، كان دعوة اصابت النقد والاحكام الجمالية ، وقامت عقبة في سبيل تقويم بودلير تقويماً عادلا (٢). وكان « اليوت » يرى ان بودلير اعظم النقاد والادباء الذين استطاعوا ان يعبروا عن الادب وجدواه .. او بالاحرى عن الوحدة الكاملة في العمل الفني L'unité Intègrale • وفي هذا يقول « بودلير » : « هل الفن نافع ؟ نعم ولم ؟ لانه الفن وهل يوجد فن ضار ؟ نعم ؛ هو هذا الذي تضطرب به اهوال الحياة الرذيلة فاتنة ، فيجب ان توصف فاتنة ، ولكنها تجر وراءها امراضاً وآلاما

خلقية فريدة يجب وصفها . ادرس جميع الجراح ، كطبيب يمارس مهنته في دار المرضى ، فلن يجد فيك مطعنا اصحاب الذوق السليم ولا اهل الدعوة الخلقية المحضة . هل يعاقب على الجريمة دائماً ؟ وهل تجزي الفضيلة ؟ كلا .. ولكن اذا كانت قصتك محكمة الصنع ، فانها لا تعزي انسانا بعصيان قواعد الطبيعة .. فأول شرط ضروري لممارسة فن سليم هو الاعتقاد في الوحدة الكاملة . والتحدي ان يريني امرؤ عملا واحدا من نتاج الخيال تتوافر له كل شروط الجمال هذه ، ثم يكون عملا ضاراً » .

كما آمن «بودلير» بان على الشاعر ان يبحث عن مادته في اعماق نفسه اي ان رسالته هي ان يترجم الجمال كما تحسه وتراه مشاعره ، واحاسيسه المرهفة ، ان كان هذا الجمال بعيداً عن صورة الحقيقة .. وهذا مادفعه لان يجعل من عشيقته الاولى « جان ديفال .. فينوس السوداء » ملاكا رائع الجمال ، مع العلم انها كانت سوداء مكتنزة الجسم :

٥ « ايتها الربة العجيبة
السمراء الاهاب مثل جنح الظلام
الممزوجة العطر بمثل رائحة المسك والتبغ
ماذا يعنيني عقلك
كوني جميلة وكوني حزينة »

٥ « أهيم بك هيامي بقبة الليل
يا آنية الحزن ، ياحليفة الصمت !
وزاد في حبك انك تجافيني
وانك يازينة ليالي – في جفاك وسخرك
تباعدين الشقة بين ذراعي
وبين سمواتك الداجية الصافية
ولكنني ابداً عارج نحوك اساررك واصعد اليك
كما يصعد الى الجثة فوج من الديدان
انـا – ايتها الضارية التي لاتشتقي لها غلة –
عاشق وامق اهوى حتى جفاك
« فأنت به ابدع في ناظري واروع » .

كان « بودلير » اذن يؤثر الوصف الخيالي على الوصف المادي ، وقد عبر عن مذهبه هذا بقوله : « فيم يهمني ان اعرف من اي عناصر صيغت الحقيقة القائمة خارج كياني .. مادامت هذه الحقيقة تساعدني على ان اشعر بنفســـي وكنهها » . ثم بقوله : « ماهي النظرية الحديثة للفن الخاص ؟ ان الفن هو ان نخلق سحراً ايحائياً ليشتمل في آن واحد على الهدف والموضوع ، وعلى الدنية القائمة خارج كيان الفنان .. والفنان نفسه »

لم يكن « بودلير » شاعراً فحسب ، بل رساماً حمل في شعره « مشعل الخيال الشاعري » فكان مبدعاً وخلاقاً ومجدداً لما اصطلح عليه شعراء الماضي من تعبيرات جامدة سقيمة .. كان حين يصور اللون – مثلا – يظهره لك باحاسيس ونبرات رائعة .. وحين يصور العطر كان يغيب المرء ويوحي له بالافكار والذكريات الدفينة . كان يرسم العاطفة فيجعلك تهمس همساً ونجوى . ومع ايمان (بودلير) بأنه لاوجود للكمال .. الا انه افنى حياته البحث عن المثل الاعلى في شعره ، كان يرى ان « الشعراء والفنانين وكل انواع البشر خليقون بان يشقوا اتعس الشقوة لو ان المثل الاعلى ذاك اللغو والهراء .. ذاك المستحيل قد وجد » . وعندمـــا يتحدث عن الجمال فانه يقول : (مثل الجمال – في جميع اشكاله – كمثل الظواهر الاخرى ينطوي على شيء خالد ابدي ، وشيء عارض زائل ، شيء مطلق .. وشيء معين ، والجمال المطلق الخالد لاوجود له ولعله مجرد صورة وهمية انعكست عن السطح الخارجي العام لمختلف المرئيات .. والعنصر المميز في شكل كل منها انما ينبعث عن المشاعر . ولما كان لكل منا مشاعره الخاصة لذلك تباينت اشـكال الجمال عند الافراد » .

وهذا التعبير عن الجمال صورة عن اضطراب الذات العنيف المتفاعل مع مشاعر امته . اذ تراه يقرر الوجه الخالد للجمال ثم يعتبر الجمال المطلق الخالد وهماً . ولكننا نرجع هذا الى انهيار الروح الافرنسية في تحسسها لعوالم الجمال العليا اذ انها قطعت مابينها وبين المثل وجعلت حجباً كثيفة من السران العميق على قلبها فلا تشعر ولعله كان لبودلير مجالات من الانطلاقات الشعورية المطمئنة اروع لو كان في امة تفتحت امامها عوالم الغيب كأمتنا .

محمد نجيب حوا

شكوى

شعر ..

محمود نعره

شكوت الى نعماء حسنك من هوى　　اطار نعيمي واستبد بحالي !
شكوت فاسمعت الزمان واهله　　وما مر شكوي من علاك ببال
بكى قلبي الاوفى .. فابكى غمامة　　فأحييت .. وظلت للهجير ومالي
فيا بارقا أرسلته من تلهفي　　لك الله دعني اهذي بضلالي
ويا شاربا من سكرة الهم في دمي　　اتمنح عذالي، وتمنع آلي ?
وحسنك منظور بعيني وحدها　　ونورك وضاح السنا بظلالي
وليلك عرته العيون من الشذى　　فالبسته عطر السما بخيالي
نظرت بعيني وانقشعت بخاطري　　فيا غوبتي في نعمتين هما لي !
وانهبتني من عنفوان توهمي　　وجردتني من طينتي وخصالي
وأبقيتني في غرفة الشوق غارقاً　　بدمعي العمى .. من شقوة ونكال
ويا غاليا في حسنه ورغابه　　أمانك ان الطيبات غوالي
وعفوك ان السفح جنت بغاثه　　وعفوك أن النيرات عوالي

تجنبني درب الصغار شمائل　　تحصلن من اكرومة وجمال
اباء كحد السيف ثار بنفسه　　يشرفني .. لكن !
يضيم عيالي ?..

محمود نعره

مدرسة

جميلة بوحيرد

للبنات

تحقق لابنتك المستقبل والاخلاق

حضانة ابتدائي اعدادي

سيارة خاصة لنقل الطلاب

هاتف ـ ٢٥٨٤١

يبدأ التسجيل اعتباراً من اول ايلول

صباحاً من ٨ ـ ١ مساء ٥ ـ ٦،٣٠

كآبة..

مجموعة قصائد نثرية جديدة

لاسماعيل عاود

بقلم : حسين صالح

من البديهي بمكان ، ان الاراء قد تضاربت وطال الجدل بين الادباء والنقاد في هذه الحقبة من الزمن حول تقييم « القصائد النثرية » او مايسمى بـ (بالشعر المنثور) فالبعض ذهب برأيه الى القول ، بأن الشعر المنثور ، ما هو الا نثر فني تضمن في اعماقه العاطفه الشاعرة والوجدان الحار والرغبة الملحة في الكشف عن تلاوين الفكر التي تستشف ما وراء الاشياء المحيطة بنا ، وسبر اغوارها في خضم الحياة المترامي.. كل ذلك في موسيقية خفية لاتحس بها الا كل روح شاعرة أصيلة .. والبعض الاخر شط به القول والرأي فقال عن هذا اللون من الادب : انه نثر محض لايختلف عن المقال في شيء .. فهو مثله تماما من ناحية الاداء والغاية والنمط الذي يرمي اليه نوع من لانواع الأدبية الاخرى ، كالقول المسجع ، والنثر العادي ، والسرد .. والى ماهنالك من نعوت ...!

وفي كلا الرأيين ، لايصل المطالع لهذا الادب الى بينة واضحه لنرى من خلالها ما يجب بناؤه من رأي صحيح حيال هذا النوع من التفكير والكتابة .. لا في اللغة العربيه فحسب... بل في كافه اللغات الحية التي ثبتت الى عصرنا هذا.

بيد أن العلائم التي نعثر عليها ونحن في عثار الطريق ، منها ما يعطينا الدليل الى أن الحال تبشر بخير عميم .. ومنها ما يتر كنا في ضباب يتصارع مع اول انبثاقة فجر مشع ، مجهول السمات .

ان اي عمل ـ في رأيي ـ أدبي ، لايخرج الا عن شعور ملح بالاشياء الفعالة الخالقه ، يطل الاديب من خلالها على الحياة ، اطلالة فيها انسانية معذبة بأفانين التأثير ، وفيها حياة معاناة منهوكة في قلب الشعور الشاق ، بجرارة وعذوبة والم .. اذ لايمكن ان نسم اي عمل ادبي ناجح ـ ان كان ـ بعدم انبثاقه عن الاحساس الانساني ، من وجداني وعاطفي .. اذ لو فعلنا ، لاجرمنا بحق هذا المخلوق المجهول .. الانسان ..!!!

من هذا ـ اذن ـ يمكنني ان اخلص الى شيء كريم نبيل ، بأن اقول في حكم متجرد عن اية مرام ثانوية مقصوده ، بان قصائد النثر ، ماهي الا شعر ، حمل في جنبيه الدفقة الشعرية الاولى ، الصامته العميقة ، وانطبع بلونها الشمولي الذاتي العام ، شأنه شأن اي فن من الفنون التي تجاوبت نبراتها وانغامها في النفس الانسانية الخلاقة الحائرة والمبدعة وما الشاعر الناثر الا انسان عانى التجربة الشعورية في فيض من احساسه واعصابه ودمه وبصيرته ، فجاء بنثر شعري يحمل في طياته الروح الشاعرة التي تفتش ـ مع غيرها ـ عن كنه الوجود الذاتي الانساني في صحراء الحياة القاحلة ، او في رياضها الجميلة الغناء ..

الا أن الحال تختلف – بعض الشيء – في تصوير هذا الكنه المجهولة لدى بعض الشعراء الناثرين ، فهي عند جماعه تكون ذهنية سطحية تفترض القضايا افتراضا وكذا تفتعل التجارب افتعالا اضطراريا فارغا .. وعند آخرين ، تكون غنية حارة ، سرابية المدى ، تترك المطالع في نشوة البحث عن المصير ، نشوة ملتصقة بخلجات النفس وتباريح الوجدان .. نشوة استوائية تعمل جاهـــدة للتغلغل في مجاهل الفكر ، لتسبر آماد الحياة الشائكة المتشابكة في غابات الانسان المجهول .. حتى اذا ماتصادمت وتصارعت مع بوارق الامــــل الخلبية ، اخذت في اجتياز ماوراء الحدود في لا مبالاة عريقة التأثير ، متينة الاجنحة في اجواء المعرفة السرمدية التي تعود الى البشرية بعد لاي وجهد ، محملة بالطيب والغذاء من بلاد الذهب والحقيقة والمطلق !

من هؤلاء (الآخرين) يبرز في بلدنا الآن الشاعر اسماعيل عامود في قصائده النثرية التي تضمنتها مجموعته الشعرية الثانية (كآبة) والتي خرج بها الى السوق الادبية في مستهل هذا العام – ١٩٦١ – (للشاعر ديوان شعر اول موزون صدر عام ١٩٥٩ بعنوان « من اغاني الرحيل) – يبرز امامنا ونحن في طريق الكشف عن هذه الفنية السرابية الحارة في متاه الشعر المنثور .. فاذا بالشاعر يتوضح لنا بروح كبيرة تتعمق باخلاص تجاربها ومعاناتها الحياتية في فكر نبيل صادق ، واداء انيق نفاذ ، همه الاول صيد الرؤى العابرة في شباك ذهبية تحمل متانة الخيال الخصب الملتهب الاشواق ، وفي تمرد ولا مبالاة غير معذبة الا بوقائية مثقفة واسعه ، لتبني وتبني فوق الرابية مزارات وعلائم رائعة حانية .. !! وهمه الثاني زرع البسمة المشرقة الانسانة في كآبة البشرية التائهه دون مصانعة او اجترار او تمق .. بحيث لا ينبو التفكير عبر تموجاتها الربيعية المترفة الى اية ارض غليظة قاسية .. فالشاعر في معظم قصائد مجموعته ، كطائر بديع لا يحط الا على المروج الساحرة ، والاسيجة الغارقة في خضم الانداء والالوان والاشذاء ؛ مثله كمثل الملاح الذي يمخر عباب بحار غريبة جديدة ذات خلجان زمردية وآفاق عقيقية ملونه رائعة ، بعدها يعود الى مرفئه وفي جعبه وشباكه الصيد الثمين :

– عندما صحوت ..
– كان القمر كقطعة من قلبي ..
– يحمل اشياء غريبة كثيرة عن رحلته طوال الليل
– كما احمل معي اريجك المشبع الى مخدعي ..
– لقد توهمت بانك معي ترتعشين وانت عارية تماماً
– تحت ضوء القمر هذا المسافر الجميل بلا اشواق

ان اسماعيل .. وتشبهه بالقمر الذي يطل على الموجودات في اعالي الصافية الهـــادئة ، الموحية ، وفي قبضته عبير العذراوات وقـــد غفون في مضاجعهن المشبعة بالاريج الانثوي الملهم ، لم يكن الا من أجل تغلغله بالاشياء والنفاذ الى اعماقها ، يعريها على حقيقتها كي يتراءى له عبر شفافيتها جوهر الانسانية الحق » وكيفية ارتعاشها امام الحقيقة عندما هذه تجردها من اثامها وشرورها وحتى من خيرها المأمول انة المصير يتراءى امام الشاعر في لصوقية مميزة بلا تزييف او بهتان تحت الوضوح الشامل ، بحيث لا مفر منه فيصل اليه ، الى ذاك المصير المحض بلا امتعة او ممانعة او نفس مقنعة حرون .

وثمة لاهروبية في روح الشاعر من الموجود ايا يكن محله او ترامت اطرافه ، ولا حتى من الذي سيكون ولا حتى من الذي كان فهو دائما يقحم بنفسة الفنانة في اتون السراب يصارعه ويتصارع معه في هجير الرمال الفكرية المتهالكة على حدود النفسيه الطامحة الى فيء الواحة المسمرة في قلب الرمضاء ، حتى اذا ماتعبت – تلك – من محاورته ، ركز فيها علائم انتصاره في فروسية جذابة غير متصنعة او ملفقة .

– في حلقي تنبت اشواك النسور الساكنة فوق الجبال
– وفي جبهتي تسافر الزوارق الى بلاد جديدة .
– وفي صدري يصرخ عالم مفعم بالاحزان . .
– وثمة شيء . . في اعماقي يريد بحماقة ان يصنع الحب في سكينة الظهيرة القاتمة .

ان يحفر الغبطة والحنو في الصخرة الكبيرة التي سمها ، القلب ،

ـ لنمضي تحت اروقة الشموس الحانية التي تتضمحل رقصاتها الحزينة بلا اسف او صدى

وهو يحاول التثبت بابعاد الرؤيا وكشف ما وراء المسافات التي بينه وبين الناس في مجتمعة البليد الذي ينطوي على نفسه مع اول ايماءة من المساء الحزين الذين يواجهه كل يوم في طريقة التائهة بين ابنية دمشق ، هذه المدينة التي يكاد يرى فيها كل شيء مزيف .. الحب والعاطفة .. حنوها .. غبطتها .. ؟؟ اشياء تتنفس بصعوبة وصفاقة واستهجان .. فهي عقيمة ، لا تلد له مايبتغيه منها من انسانية مطلقة مخلصة تفدى امنياته ولو بقطرة من دمها الممزوج العكر .. وهو الفقير اما مها يشربها بنفس جائعة غريبة طامحه ..

ـ ايتها الكلمات الحائرة حول البيوت المتثائبة الحزينة .

ـ هبيني العطر والكآبة ، من همسات الزنابق والعوسج .

ـ .. اطلقيني كي انهالك فوق مناكب المساء الاجرد .

ـ ياليتني شحروركِ الغامق اعتلي النوافذ والاروقة الكسلى ..

ـ كم تمنيت الرحيل .. ومعي افكاري القيمه الجارحة حيث هناك ينتهي موسم البكاء .

بيد ان المدينة لا تمنحه الا الضياع والتسكع والقلق فهي برغم جمالها الآبق ، تخفي بالنسبة له وجها جغرافيـة مذبذب الخطوط والوان ، فينساب فيها وكأنة لاشيء من الناس .. ساخط يمتص الصدى ويمضغ ذاته في مرارة وحقد وتشفي .. حتى اذا ما اعياه ذلك ، التفت الى رفاقه الشعراء يهيب بهم ان يجدفوا معه على كل روح مكبوتة تغفو في اسار الكهوف المظلمة وهي وجلة ، تخاف النهار والوضوح والشمس ..

ـ .. الاشعار التي كتبتها .. بعتها الى الساخطين والسخفاء بلا ثمن يذكر .

ـ وبقت بلا قلب واشعار وطعام ، امضغ نفسي واتسكع ..

ـ في امل الحصول على شفة دافئة ولحاف يدثر الاطفال الصغار .

ـ الذين يتكاثرون كالطاعون والفرح في قلب المدينة البعيدة ..

ـ ايها الشعراء .. جدفوا معي على الحب المكبوت ..

ـ اخفضوا من بسماتكم المشحونة بالازدراء والتشفي .

ـ ذواعان تلوحان الحرية المشنوقة في الشرفات ..

ـ انت ايها الفارس المطهم على رمحك الذهبي تلمع لاكثر الآلام عنفاً ..

ـ لساني يثرثر .. يتحدى المدينة ..

محاولة تكاد ان تلمس قمة التعمق في اتحاد الشاعر باشيائه وجذبها اليه في قسرية خارقة ، لايضيع منها نبذة فهو فيها حرب على الابتذال والميوعية والتهافت الرخيص . وما ربط رؤياه النفسية بالاطفال والمدينة والحب المكبوت والاذرع الملوحة للحرية .. الا ليكون اكثر مبادهة واثارة او اصوقيه بكل ما يحسه ويعانيه ، لاجل خلق الفكرة الناصعه لما يصهره ويقتته في دنياه .. بالرغم من انه في بعض الاحيان تدفعه الحياة القاسية الى الاستسلام .. لتفاهتها المجدية المفروضة .. ناهيك عن ان اسماعيل ، يمكنه ان ينتقل بك من جو الى آخر دون ان تشعر بقساوة التبدل واختلاف المناخ .. فهو في قصائده ـ ان لم تكن كلها بعضها ـ يكاد يكون وحدة تامة يعني بشؤون فكرية خاصة التجارب نفسية موحدة (عاوية ، البكاء رعشات تائهة ، الاغنية القاسية ..) ولكن اسماعيل اقحم بعض القصائد الفارغة في مجموعته .. قصائد لاتمس الآخرين في قليل او كثير ، ولا تعاني تجربة جذرية عميقة ، فهي تبدو وكأنها نسيج خاص فقير لحلات عاطفية عابرة ، وتظل دائما في بعد عن الارض ، متوهمة بالوان غير معروفة تغمر السار في سلبية جافية ، بينها وبين روح العصر الحديث ، مفاوز شاسعة كابيه ، من خيال مسرف التصورات الميتافيزيقية التي تبحث في ما وراء المعقول عن شاطيء امان لايكون ، ومرفأ هادىء لاتصل اليه الا السفن الاسطورية .. لكن قصيدته « كآبه » تظهر لنا .. وهي تحمل في عمقها ما يشير الى التجربة التكوينية العميقة ، اشارة نبيلة تخفق عالية في قمة الوجدان الشاق ، ذلك الوجدان الذي يسبح عبر الرؤى

بجاور سرابها ليضع لها ديانة جديدة تقف متواضعة تارة . . متعالية تارة اخرى تجاه الغاية العظيمة التي يعبدها الشاعر . .

ـ وانت ايتها الينابيع التي تفجر عيني المنا الصغير .

ـ معبود شعراء التهتك والفوضى . خذيني معك خذيني .

ـ الى حيث تغمرني الافياء الصامتة في الغابات المستحمة بدفء الشمس الابدي

ـ لاكون معك هناك ، روحا هيانـة في حب الله والطبيعة . .

ـ المتجسدين بالالوان والاضواء والمعاني .

انها العبادة المقدســـة التي ترتعش في ضمير الشاعر ، وتتجلى في الكآبه احوال البشر وما يحيط بها من طبيعة وآفاق واجواء ملونه تضيء معانيها في بصيرة الانسان . هذا المخلوق الحساس ، الذي يقف تحت (الله) حائراً بكل ما هو بحاجة اليه في عالمه ، بكل الوانه واضوائه ومعانيه .

ولعل الشاعر هنا يقف مع (رامبو) الشاعر الفرنسي على خط واحد . الا ان شاعرنا يبتعد عنه في مشكلة الجنس . اذ ان رامبو جعل من ديانته (روحا كالله ، وجسدا كالمرأة . بينما اسماعيل جسد فكرته بوجودات حسية تتحرك باستمرار في ارضه بتفاعل وتمازج ضمن كهربائية منتظمة .

وبعد . فاسماعيل حمل الينا في (كآبته) ما يحسه حقاً من تمرد وحب وامل ومصير . وها هو يعطينا فعلاشعراً منثوراً جيداً في مضمونه وسبكه وتلاوينه . كل ذلك في انفعال وجودي عريق ، واصالة فنية مثقفة متينة ، تبشر بخير عميم .

ـ حسين صالح ـ

عند الغدير

شعر

عبد الغفور العاصي

« زرق العيون » الساكنات « حماه » ايقظن فيه الوجه والالما
هـذا الفتى لوعن مهجته فبكى على آثارهن ومـا
نامت على شفتيه قافية ظمأى . . تغص وتجرح النغما
ما ضر لو أطفأن حرقته وارتاح هذا المجروح فالتأما

والظبيتان على الغدير . . هما ومتا على قلبي الشباك هما
اني نسيت العمر ساعتها ونسيت كيف انا لقيتها
خصلات هذا الشعر . . مسكبة تموز غص قمحة . . ونما
خلف الروابي الخضر ريح صبا دمع العيون - اذا نمو - هما

عـادت الى الاضلاع خفقتها ولربما عاد الهوى . . ربما
مـا تاب هذا القلب . . تغمزه خضر الرؤى . . فيجيبها . . نعماً

عبد الغفور العاصي - حلب

جناح الهند يجذب

زوار معرض دمشق الدولي الثامن

الهند تهتم اهتماماً كبيراً بمشكلة العمل في الاقتصاد المخطط



يلقى جناح الهند في معرض دمشق الدولي نجاحا رائعاً وذلك نظراً للهندسة الناجحة التي تجتذب الزوار والمعروضات الانيقة التي تحظى باهتمام جميع الناس من رواد معرض دمشق الدولي الثامن .

وبمناسبة يوم الهند في معرض دمشق الدولي تحدث المسؤولون في في الجناح الهندي عن سياسة العمل في الاقتصاد المخطط .

ان الاتجاه الى مبدأ عدم تدخل الحكومة في الاعمال التجارية والحاجة الى دولة ذات كيان متين قد نتج عنه ان اتبعت سياسة تقدمية للعمل ، سياسة معترف بها كاحد المباديء الاساسية للحكومة الصالحة . وبحسب ذلك ، فان

المعروضات من الاقمشة وغيرها في الجناح الهندي



دستور الهند يتضمن بصورة رئيسية اجراءات الاصلاح العملي كمبدأ ينير السبيل امام سياسة الحكومة ، وتضمن الدستور ايضاً حلولا ايجابية لحل مشاكل العمل ومنها حماية الحياة ورفاهية العمال وتقديم المساعدة في حالة البطاله والتقدم في السن مع ضمان وسائل حسنة للعيش والاعتراف بحق العمل مبدأ تساوي فرص العمل للرجال والنساء على السواء .

وبسبب بطء التصنيع في الماضي ، فان مشاكل العمل لم تظهر في البلاد كما كان الحال في الغرب ، وتبع ذلك ان سياسة العمل لم تلعب دورا ذا اهمية والحياة الاقتصادية والسياسية ، اما الان وبعدان جرى حكومة حرة ، فان

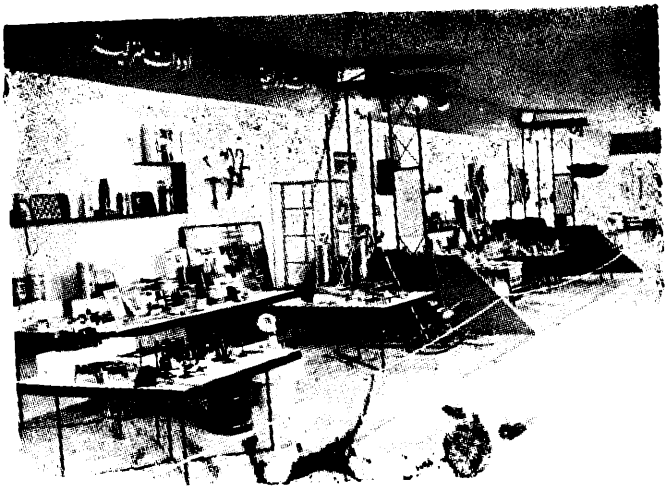
تقدم التصنيع والنهضة النامية بين الجماعات نفسها ، فان مشاكل العمل تحتل مكانا بارزا ، وان نمو سياسة العمل التقدمية اصبح مسألة من اهم المسائل الوطنية .

وفي مشروع السنوات الخمس الاول ، فان حق العمال في الانضمام للجمعيات والتنظيم قد جرى تنظيمه بدون تحفظ . واعير انتباه خاصاً لتسوية الخلافات بالتشاور المتبادل بروح من الاصلاح المنطقي . وبعبارة اخرى ، فأن المشروع الاول اكد على ان السلم الصناعي كضرورة من اجل انتاج وتوزيع مخطط . اما في حقل الضمان الاجتماعي فان ميثاق ضمان مستخدمي الدولة ١٩٤٨ وصندوق ادخار العمال - ١٩٥٢ - وقد جرى تنفيذهما ، كذلك بذلت عناية خاصة من اجل اقامة بيوت سكن صناعية للعمال ، وان كان مايزال هناك الشيء الكثير الذي يجب القيام به في هذا المضمار . وقد راعى المشروع انه يجب القيام بعمل ناشط من اجل تأمين المستوى المعيشي الحقيقي للعمل ، هذا المستوى الذي كان سائدا قبل الحرب ، وان كان بكل تأكيد ليس بمستوى جيد .

اما في مشروع السنوات الخمس الثاني ، فان سياسة العمل كانت بالطبع نسجاً على منوال



مدير الجناح الهندي والانسة مليحة قرينة قنصل الهند العام في حفلة الاستقبال التى اقيمت في الجناح بمناسبة يوم الهند في معرض دمشق الدولي



المعروضات من الاقمشة وغيرها في الجناح الهندي

الخبرة المكتسبة عند تنفيذ المشروع الاول . فقد اكد على تجنب النزاعات الصناعية وتقوية الحركة الاتحادية التجارية وتأسيس هيئة استشارية بمستويات ملائمة . ولقد اعترف بحق العمال في الحصول على اجور حسنة ولكن في نفس الوقت اكد على ان الاجور يمكن تأمينها عندما تكون هناك زيادة في الانتاج . وقد جرى التوسع في اتخاذ وسائل الضمان وبذلت عناية خاصة لتحسين اوضاع اولئك الذين يعملون على اساس التعاقد والعمل الزراعي والعاملات من النساء وتنفيذ قوانين العمل . اما النجاح الذي تحقق في

مشروع السنوات الخمس الثاني ، فيمكن القول ان خطة تثقيف العمال واشتراكهم في الادارة تسير سيراً حسنا . وقد تألفت مجالس الاجور من اجل المنسوجات القطنية والاسمنت وصناعة السكر . كما جري تقديم تقارير من مجلس اجور الصناعات القطنية والمجالس الأخرى الى الحكومة

وفي وضع اطار لتشريع العمل الوطني ، فان الهند استأنست بصورة فعالة بالمستويات العالمية فمن بين المواثيق الـ ١١٥ لمنظمة العمل الدولية ، اقرت الهند حتى الان حوالي ٢٧ ميثاقا ومن هذه المواثيق ميثاق اعمال السخرة – ١٩٣٠ الداعي الى ابطال العمل الاجباري ، ميثاق الحد الادنى للاجور – ١٩٢٨ – بشأن وضع حد ادنى للاجور ، ادنى حد للسنين – صناعيا – وهو وارد في ميثاق عام ١٩١٩ ، وميثاق تحديد الحد الادنى لسن قبول الاطفال في الاعمال الصناعية ، وميثاق الدفع المتساوي – ١٩٥١ – المتضمن تحديد الاجور بالنسبة للرجال والنساء ، ومواثيق اخرى تتعلق بالمناطق النائية والبدائية. ومن ذلك كله يتضح مدى التقدمية التي احرزتها سياسة العمل ، وبصورة خاصة في الحفاظ على المستويات العالمية . ولقد كانت هذه الخطوة التقدمية رائعة خصوصاً فيما يتعلق بحقل التشريع الوطني ، وان قانون النزاعات الصناعية – المعدل – ١٩٥٣ والذي يتضمن تعويض العمال في حالة الشيخوخة والعجز يعتبر خير مثال على هذه السياسة . اذ لا شيء يسبب الاضطراب ويوسع شقة الخلاف مثل الخوف من البطالة .

وربما كان هذا القانون من العوامل المساعدة من منع التوتر الصناعي . ويمكن ملاحظة ان عدد ايام العمل الضائعة والتي كانت حوالى ٤٫٧ مليونا خلال فترة السنة شهور من كانون الثاني – حزيران ١٩٥٨ ، اي قبل وضع التشريع موضع التنفيذ ، تدنت ٣٫٢٠ مليون في النصف الاول من عام ١٩٥٩ و ٢٫٨٩ في النصف الاول من عام ١٧٦٠ .

واذا استعرضنا اعمال الحكومة الهندية خلال فترة المشروع الاول نجد انها قد عنيت بكل ما يمس مشكلة العمل لقد اتخذت خطوات ايجابية بشأن مشاكل السلم الصناعي باعترافها بأن العمل هو جزء من الصناعة . والان فان كل باب يجب ان يطرق وكل سبيل يجب ان تسلك من اجل تأمين العمل للعمال على مستوى من المعيشة عال في غضون مشروع السنوات الخمس الثالث .



يوم المانية الاتحادية

في معرض دمشق الدولي

حفلات معرض دمشق الدولي الثامن بدأت منذ اليوم الاول .. كانت اروع الحفلات على الاطلاق ، حفلة الاستقبال التي اقامتها القنصلية الاتحادية العامة في مطعم الشرق . مجتمع دمشق الرسمي والشعبي ام حفلة الاستقبال .. كانت ابتسامة الدكتور فيختر المحببة تتقدمه في استقباله لضيوفه ، الوف الليرات ذابت في جيوب حلاقي السيدات لتتجلى في روعة وفن .. بالجمال الذي اغرق به الحلاقون مئات المئات من حسناوات دمشق وفاتناتها .

السخاء الالماني تجلى بابهى صوره ، وعكس عمق الصداقة التي يرتبط بها بالشعب العربي

دعيت دمشق كلها الى حفلة الاستقبال الكبرى التي دعا اليها قنصل المانيا العـام في دمشق والتي اقيمت في حديقة الخيال ، حديقة مطعم الشرق بمناسبة يوم المانية الاتحادية في مدينة معرض دمشق الدولي الثامن .

كان في استقبال الضيوف المدعوين والمدعوات عند باب الحديقه كبار موظفي القنصلية الالمانية الاتحادية في دمشق وعلى رأسهم سيادة الدكتور رودلف فيختر قنصل المانيا العام وعقيلته والدكتور توماس راملو القنصل التجاري والدكتور ديبز الملحق الثقافي والدكتور كلاين الملحق الصحافي والسيد جونزو السيد كروتر والدكتور عدنان الزين المستشار الحقوقي في قنصليه المانية الاتحادية وغيرهم ..

وكانت عقيلات السادة موظفي القنصلية الالمانية يطفن بالحديقة ليسهرن على راحة الرواد الذين ضاقت بهم حديقة مطعم الشرق على رحابها وليقمن بواجب الضيافة الذي حق عليهن

وكان جو الحديقة الندي يدفع الراحة الى الجموع التي استكانت الى كؤوس الشراب او التامت حول موائد الطعام السخية التي شابهت في كرمها وسخائها كرم وسخاء العربي وكانت الموسيقا تصدح بانغامها وتشترك مع وشوشات النسيم في دزى الاشجار في خلق جو شاعري حالم كان يساعد الى حد بعيد القلوب المتفتحه دوما الى الحب والحياة والمرح والسعـــادة .

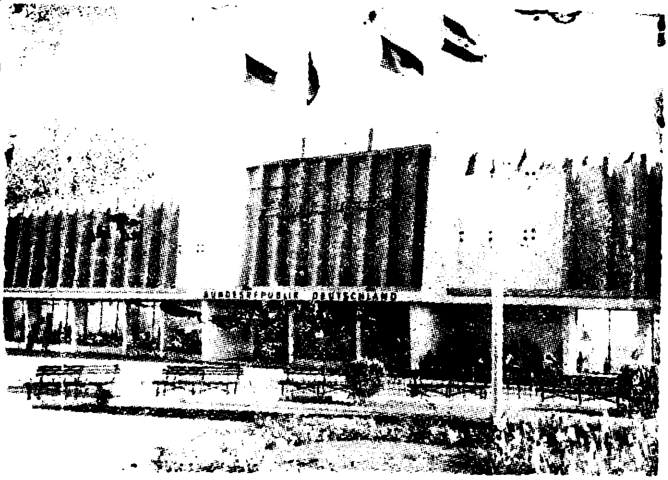
ومن خلال الخيال الحالم .. من خلال الاحاديث الودية والقلوب المترعة بالصفاء والود ، انطلقت الاسهم النارية الى الفضاء ليحول قطعة الخيال الى سحر حقيقي من الجمال .. لتحيل السماء الى نهار تضيئه مصابيح صغيرة

زوروا جناح

المانيا الاتحادية

تجدون

اجمل المعروضات واضخم الصناعات



ملونة لاتكاد ترى النور حتى تختطفها ابدية الحياة وروعتها ويلتهمها السواد الاسحم فيما يلتهم من نجوم وحياة ومآسي .

وكنت ترى الى العيون المشدودة الى الفضاء الاسحم المبرقش بالالوان الزاهية ، وكنت تستطيع ان تسمع الى بعض الناس وهم يصيحون في همس خاطف : هذا حظي ..

ويستمر المرح والضحك ، ويخرج المدعوين وهم يودعون القنصل العام وعقيلته وكبار موظفيه وهم يتمنون لالمانيا الوحدة والحرية .

ان الوضع الشاذ القائم في المانيا يجب ان تشترك جميع شعوب الارض في ايجادحلول جذرية له فقد قسمت المانيا منذ عام ١٩٤٥ الى ثلاثة اجزاء هي :

ب الجمهورية الالمانيه الاتحادية

الدولي وهي بهذه الصفة الوريثة الشرعية للرايخ الثالث كله ويملك وحدها حق التفاوض التصرف باسم المانيا جميعها .

ان توحيد المانيا كلها بضم جميع احزابها في ظل الحرية وبالوسائل السلمية هو الهدف الاسمى للشعب الالماني . وقد حظوا بتأييد العالم الحر كله لهذه القضية الوطنية المقدسة وهم يتعاونون مع الشعوب الحرة جميعاً في آسيا وافريقيا واوربا وامريكا تعاونا صادقا لتحقيق مستقبل سلمي وعصر يعم فيه الخير والسلام في الارض كلها ..

والمانيا التي نهضت اليوم واضحت اول دول واوربا في الاقتصاد ، تعمل من اجل حق تقرير مصيرها عاقدة العزم على تحقيق ما تصبو اليه من اهداف في الوحدة والحرية ..

والمانيا اليوم غيرها بالامس .. ان المانيا فوق الجميع التي كانت شعارات هتلر ذات يوم ليست المانيا فوق الجميع



ه الجمهورية الالمانية الديمقراطية

ه الولايات الشرقية للرايخ الالماني

وهي الواقعة تحت ادارة بولندا وروسيا مباشرة وفيما يتعلق لولايات الشرقيه المذكورة نقول ان الالمان استقروا فيها منذ القرون الوسطى وبعثوا فيها النهضة الاقتصادية والثقافية ، وقد اخرج منها عام ١٩٤٤ - ١٩٤٦ ما يقرب من تسعة ملايين الماني بحيث اصبح فيها السكان الالمان قلة نادرة ، ولكن مثل هذه التدابير القائمة على العنف لا يمكن ان تغير في حدود الرايخ الالماني التي كان القانون الدولي يعترف بها والتي لا يمكن تغييرها الا بموجب معاهدة صلح .

وجمهورية المانيا الاتحادية هي وحدها التي تملك حكومة ديمقراطية ذات سيادة نشأت من انتخابات حرة ، وهي وحدها التي لها مقومات — الدولة في عرف القانون

التي شعار اديناور اليوم ، لان هذا الشعار كان بالامس رمزاً لاستعباد الشعوب ، واصبح اليوم شعار المانيا المحبة للسلام ، شعار المانيا التي تمد يدها لجميع الشعوب بما يعود على الانسانية من خير ورفاه .

ان الشعب الالماني ليطلب اليوم شيئاً واحداً ، يطلب حق تقرير المصير في انتخاب حرة نزيهة تجري تحت اشراف هيئة الامم المتحدة .. والشعب الالماني اذ يطلب هذه الانتخابات فانما للتدليل على ان هذا الشعب لا يرضى عن حريته ووحدته بديلا في جميع اجزاء المانيا بما في ذلك المانيا الوسطى المعروفة باسم المانيا الشرقية ، والولايات الشرقية الواقعة تحت حكم الادارة البولونية والسوفيتية .

صناعة الصيني في مقاطعة مايسن

في المانيا الديمقراطية

ان المانيا الديمقراطية تملك صناعة ضخمة من الزجاج والسيراميك ولها تقاليد قديمة وفي سنة الماضية احتفلت مايسن بمرور ٢٥٠ سنة على هذه الصناعة . وصناعة الزجاج تتمركز في غابة زيريسخ منذ عدة قرون وهي فرع هام من صناعاتها الاساسية . والسيراميك والزجاج المصنوع في المانيا الديمقراطية يمتع بثقة الزبائن في العالم اجمع وتتمتع منتجات الصيني المعروفة باسم « مايسنر بورسلان » بميزات خاصة اذ يفضلها هواة هذه الاصناف في كافة انحاء المعمورة على جميع منافسيها ، وقد اصبح هذا الاسم رمزاً للنفاسة



احد الفنانين الذين أمضوا خمسين عاما في هذه الصناعة يقدم نموذجاً جديدا في صناعة الصيني

والجودة والذوق السليم . ويعود احراز هذه الشهرة العالمية الى مابذل من الجهود الجبارة في سبيل تطوير وتحسين الانتاج بصوره مطردة .

تأسست معامل الصيني الحكومية في مايسن عام ١٧١٠ وقد ساعدها الحظ وقتئذ على ان يكون هناك رجلان عبقريان يعملان فيها ، وهما نحات التماثيل ي.ي. كندلر والرسام ي. ج. هوررولد . ولا نبالغ اذا قلنا بأنه لم يسبق لهذين الفنانين مثيل ولم يأتي بعدهما من يضاهيهما في هذه المهنة الفنية .

لقد برهنت منتجات الصيني التزيينية ومنها التماثيل خاصة على انها تستحق ان تكون عنوانا للجمال والرشاقة والفخامة اذ انها تعبر عن مظاهر الحياة وتظهر مجسمة في المواقع التي تعبر عنها كالحركة والسكينة والرزانة والابتهاج والحزن والفرح والكمال والسذاجة والفقر والرفاهية .

والمادة التي تصنع منها الاشياء الصينية ليست قابلة للنقوش والرسوم الفنية فحسب بل انها تتطلبها ايضاً . ويرجع الفضل في الابتكار والتفنن بهذه المادة الى الاستاذين

السابق ذكرهما حيث اصبحت اسسهما الفنية البارعة التي وضعاها قبل ٢٠٠ عاماً اتجاها هاماً لجميع من جاء بعدهما من اصحاب هذا الفن الجميل ، فكان ذلك عاملا قويا في تطور منتجات الصيني . ولم يكن في الاستناد الى القواعد القديمه هذه تمسكا بالتقاليد او نبذاً للابتكار والنشاط الذاتي ، بل بالعكس ، اذ كانت معامل الصيني في مايسن تتمشى دائما مع تتطور الاذواق ووجهات النظر الفنية وتراعيها كل المراعاة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين . وعليه فانه من الحق اعتبار السنين التي تبعت عام ١٩١٥ عصراً كاملا مستقلا حافــلا بوجهات نظر فنية حديثه وبطرق جديده للعمل وبوضع التصاميم وتمهيد السبل لانتاج الاواني الصينيه المعده للاستعمال .

ومن الضروري التنبيه الى ان الكثير مما يعرض من الآنيه تحت اسم « اواني صينيه للاستعمال » ماهو



بمدة خمس سنوات يستطيع العامل ان يتقن صناعة الصيني عــلى افضل انتـاج

بالحقيقه الا اواني خزفيه ليس لها اي علاقه البته بالصيني الاصلي ولا يمكن مقارنتها به اطلاقاً .

فما اجمل المائدة المفروشة بالآنية الصينية الممتازة المصنوعة في معامل مايسن وما افخرها !

واذا تساءلنا عن السر في ذلك يكون الجواب : ان المادة التي يصنع منها هذا الصنف هي من ابهج واصلب مادة في العالم وان نعومتها وكثافتها والطلاء الملائم الذي تطلى به يعطيها بهجتها وروعتها المنفردتين .

ولو كانت المجموعـة (الاطقم) الصينية من معامل مايسن للقهوة وللشاي عارية النقوش والرسوم فان بهاءها يلازمها . ليس صنع فناجين مايسن انتاج صناعي بالمعنى المعروف وانما صنع يدوي يحقق بالقطعة الواحدة بأياد فنية مختصة دربت طوال سنين عديدة على هـذه الاعمال الفنية البحتة . ونذكر بوجه خاص تعدد الاشكال لهذا النوع من الصيني ، فقد اخرجت معامل مايسن منذ نشأتها ٤٥٠ طرازاً من الفناجين المتنوعة . وتتمتع القطع الاخرى من الاطقم الصينية بعدد وافر من الاشكال . بالاضافة الى عدد غير قليل من الاصناف الاخرى منقوشـــة كانت او غير منقوشة . واننا نسرد على طريق المثال ان اقدم الانواع صيني مايسن وهي في حال رواج دائم ومنها طراز « ألط براندنشتان » و « نوي براندنشتان » و « الط اوزير » و « نوي اوزير » و « نوي مرسيليا » وغيرها .

وعلينا ايضاً ان نذكر من انواع الزخرفة والرسوم والمختلفة التي يكثر طلبها النماذج التي يقال انها تنتمي الى الهندية الا انها مقتبسة عن الصينية كرســوم الجذوع والزهور والقصب والصخور والطيور والمناظر الطبيعية : اضف الى ذلك مئات من النماذج الرسومية الاخرى كالزهور والحيوانات والصيد ثم مجموعة من النماذج والتصاميم المتنوعة التي تمثل معاً باقة ملونة من الزهور تدعو الى الامعان بها وتذوق جمالها والاعجاب برونقها وبهائها ودقة تفاصيلها . فتأخذ هذه الرسوم والزخارف اللطيفة على النفس كل مأخذ وتقربها العين لما هي عليه من الاناقة في الترتيب ولما لهذه الرسوم والالوان الحية من البهجة الباهرة .

ينبيء بابنية صناعيه جديدة كبيرة اهمها مجموعه معامل التعدين في « كريمفتري » التي ستنتج في مرحلتها النهائيه الاولى مليون طن من الصفائح المعدنيه في السنه ومن جهه اخرى ان مركز « ماريتزا است » الكهرمائي الذي ستكون طاقته عند بدئه بالعمل - ٨٠٠ - مليون واط قد اصبح قريب التنفيذ .

وتنتج الصناعه البلغـــاريه الات مختلفه لصنع المعادن تقريبا كل نماذج الماكينات الزراعيه والمحركات الكهربائيه ، محركات ديزل والبواخر والدراجات

وهذه السدود سد « ستالين » الذي يتسع لـ (٦٧٣) مليون متر مكعب و « ستوذين كلادينتز » وسعته (٤٨٩) مليون متر مكعب و « باتاك » (٣١٠) مليون متر مكعب و « اليكسندوستبوليسكي » (٢٢٢) مليون متر مكعب الخ وبفضل مياه هذه السدود قد ارتفعت مساحة الاراضي المروية من ٣٥٠٠٠) هكتارا قبل الحرب الى(٦٤٠٠٠٠) هكتارا سنه ١٩٦٠ .

ومناخ بلغاريا موافق تماما لزراعة الحبوب والتبـغ والنباتات الزيتية والفواكه والخضار .



منظر عام لسد الرستن المشرف عليه الخـــبراء البلغاريـــين (تيكنوا نيتكس)

الناريه واجهزة راديو وتلفزيون واجهزة طبيه ومنتجات كيميائيه عديدة الخ .

كما يقوم العامل الاساسي للاقتصاد الريفي البلغاري على المزارع التعاونية الزراعية التي تقدم مع مزارع الدولة اكثر من ٩٠ ٪ من انتاج البلاد الزراعي . وتعاون الاراضي قد اتاح الفرصة لاستعمال الالة استعمالا واسعا في اساليب العمل في الاقتصاد الريفي الذي كان يتصرف عام ١٩٦٠ ب (٤٢٠٧٥) تراكتور (بقوة ١٥ حصانا) و (٨٧٣٨) حصادة دراسة و (١٧٠٠٠)غرازة مجرورة وعشرات آلاف من الآلات الزراعية الاخرى . وقد بنيت عشرات من السدود الكبيرة والصغيرة وتستعمل مياهها لانتاج الطاقة الكهربائية كما تستعمل الري . ومن بين

٥ — التجارة الخارجية

اذا قابلنا بين عام ١٩٢٩ وعام ١٩٦٠ راينا ان التبادل التجاري البلغاري زاد ٤٫٨ مرات عام ١٩٦٠ وعدد البلدان التي تتعامل معها بلغاريا قد ارتفع من(٣٠) الى(٧٥) وقـــد بلـــغ ميزان التبادل التجاري عام ١٩٦٠ (١٫٢١٢٠٠٠٠٠٠) دولار وقد عقدت بلغاريا اتفاقات تجارية مع الدول اللاتية : النمسا، انكلترا، البانيا ، بلجيكا ، الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية ، والجمهورية الديمقراطيـــة الالمانية ، واليونان ، والجمهورية الاتحادية الالمانيـــه ، الدانمارك، وايطاليا ، والجمهورية الشعبية الصينية ، والجمهورية الديمقراطية الشعبية الكوريـــة ليتشتنتين ليكبورج ، والجمهورية الشعبية المنغولية ونروج والجمهورية الشـــعبية

البولونية ، والجمهورية الشعبية الرمانيه والاتحاد السوفياتي، والجمهورية الشعبية الهنغارية. وفيلندا ، وفرنسا ، وهولند وتشيكوسلوفاكيا ، وسويسرا واسوج ، والجمهورية الاتحادية اليوغسلافية وبورما والهند واندونسيا والعراق ولبنان والجمهورية العربية المتحدة وتركيا وسيلان ومراكش وتونس وكوبا واليابان .

آ – التصدير

تشمل قائمة التصدير البلغارى اكثر من (٨٠٠) صنف من الانتاج (وقد كانت قبل الحرب ١٨٠) اهمها الالات والتجهيزات الصناعية (١٨ ٪)التي من بينها الات مختلفة لصنع المعادن والات الزراعية ومنتجات صناعية كهربائية وكيمائيه الخ وتصدير الالات وحدة زاد بين عام ١٩٥٢ و ١٩٦٠ فقط اكثر من ١٦ مرة لاسيا فيا يتعلق بالعربات الكهربائية والرافعات الكهربائية والمحركات الكهربائية .

وقد شملت هذه الزيادة ايضا التبغ والمنتجات النسجية والفواكه والخضار والخ وفي عام ١٩٦٠ شغلت بلغاريا احدى المراكز الاولى في العالم بتصدير البندورة .

ب – الاستيراد

يرتبط الاستيراد البلغاري ارتباطاً وثيقا بالتصنيع لاخذ في التصاعد ويرتكز بنوع خــاص على الالات والتجهيزات الصناعية والمحروقات والمواد الاولية ، الخ .

وافضلية الاستيراد البلغاري تعود للاتحاد السوفياتي والجمهورية الديمقراطية الالمانية وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والجمهورية الاتحادية الالمانية وانكلترا وفرنسا والجمورية العربية المتحدة والنمسا ، الخ ..

وقد ارتفع ميزان التجارة البلغاري مع بلدان افريقيا عام ١٩٦٠ الى ٢١٠٠٠٠٠ دولار .

وتنظيم التجارة البلغارية الخارجية محصور بالدولة وتقوم بتأمينه مراكز تجارية خارجية للدولة مثل ماشينو اميكس تكنوامبورت « تكنواكسبورت » اليكتروفيكس تشيميبورت « اندوستريا ليمبورت » « رودميتال » بلغاريويكسبورت هرازكبورت « بوليه » بالكانتوريست ومركز السياحة الدولية .

٦ – معلومات عامة

٦ – القطع

عملة بلغاريا الوطنية هي « الليف » وسعره الدولار . الدولار الواحد يعادل ٦،٨٠ ليف اما السعر السياحي مع العلاوة فهو « ٩،٥٢ » ليف

ب – اللغة الرسمية في بلغاريا هي اللغة البلغارية « لغة قريبة من الروسية » المراسلات والمباحثات يمكن ان تكون بالافرنسية او الانكليزية او الالمانية .

ت – السياحة

قد تغييرت بلغارايا خلال السنوات الاخيرة فاصبحت مقصدا للسياحة الدوليه ، وقد اقيمت على شواطىء البحر الاسود البلغاري عدة مراكز بحرية حديثه ، شاطيءالشمس الرمال الذهبية ، دروجبا الخ

وفد زاد عدد السواح الذين زاروا بلغاريا عام ١٩٦٠ ٢٠٠٠٠٠ شخص ويقام عادة في بلوديف من بلغاريا كل سنتين المعرض الدولي لنماذج بلوديف المركز التجاري المهم من جنوب شرقي اوروبا .

سيرافيم سيفردياك

امتحان

قصـــة

تبادل الاثنان النظرات .

في عيونهما المحمرة من الريح والتوتر لمعت شرارات سيئة غبراء ، قال الاطول قامة المرتدي ثيابا رسمية قديمه الحارس الغابات بصوت خافت مبحوح :

– وما هذا ؟

– فزاعة ! ..اجاب الاخر . وكان فتيا جدا ، اذا وجه بيضوي يدون لحية وكان يرتدي معطفاً عسكريا بدون كتافات .

ثم صوب الاثنان نظرهما في آن واحد تقريبا الى الامام ، حيث كان يتعرج ممر جبلي ضيق ، كانا هنا منذ ربع ساعات ، منقبضين في ظل الصخرة المتجلدة الرصاصية اللون ، وكانا قد تجلدا وجاعا ، ومن جراء الانتظار الطويل والشعور بالمجهول كانا قداغتاظا وغمرهما عزم قاتم غريب ، ولكنه لم يكن يسمح لهما بفتح عيونهما وهاهو بدل دانائيل مساعد الانصار من لوميتسي ، الذي كان ينبغي ان يأتي عند الظهيرة ويجلب لهما صبغة اليود وتضدات للجريح كان يتقدم على الممر نحوهما شخص غريب !

كان رجلا ، يبدو طويلاجدا ، لانه كان يخطو بصورة مضحكة ، بان كان يلوح بركبته عاليا ، يرتدي ثوبا طويلا ، يشبه معطفا من قماش رخيص ، وكان رأسه ملفوفا بقبعة طريئة ومنديل صوفي محاك وفوق كل ذلك كان وجهه الذي لم يكن واضحا بعد ، مزينا بنظارات ذات اطار من النموذج القديم . اين كان ذاهبا هل سيمر دون رؤيتهما ؟

كان الاثنان ، الواحد بجانب الاخر ، صامتين بلاحركه كأنهما قدا من الصخرة ، التي كانا يلتصقان بها ، وفي لحظة ارتجف الشاب من حركه اليد نحو زناد المسدس ، ولكن النظرة الباردة الهادئة للاخر جمدته من جديد .

ذاك الثالث كان يتابع السير نحوهما بنفس خطوه النعامه المضحكة ، وعندما بات على بضع خطوات منهما توقف فجأة ، كأن احداً شده الى الوراء وحدق حوالية وصوب نظارتيه الى الصخرة ، كان شيئا مكتوبا هناك . ثم سأسأ ثلاث مرات بهدوء تام .

وتبادل الاثنان النظرات من جديد ، لم يعد في عيونهما الان لا انزعاج ولا اغتياظ وانما حيرة عظيمة لاتوصف ـ كان صـــاحب النظارات يعطي كلمة السر بوضوح ودقة تأمين . ومن جديد التفتا نحو الممر .

هذه المرة رنت الاشارة اقرب واوثق .

فاسر الشاب في اذن الاخر :

– فلنرى اي طير هذا .

فقال الاخر :

واذ كان عدوا ؟

ابتسم الشاب دون ان يحدث اي صوت . واشار بعينيه الى فوهة مســدسه والى يدي الأخر الفارغتين

وبالفعل لم يكن ذاك يحمل مسدسا . كانت يداه معتدلتين دون ان تثيرا اي شبهة . وخطا خطوة الى الامام فرآه الشخص المجهول . ولكنه لم يخش حتى انه لم يتراجع . بل اشرأب بعنقه بسذاجة وقال كالاطفال بكل بساطة ، دون ان يسأل :

ـ انتهى الحصار في ساعة متاخرة وسرت عند مطلع الفجر . ينبغي ان تعذورونى ، كانت لدي كل الرغبة .. لقد رفع البوليس الحصار في الساعة الرابعة صباحاً . وقبل ذلك لم يكن باستطاعتي ان اسير باي حال .

وكان دمه شيء مزعج في هذا الينبغي ان تعذروني و « في الحال » وكان يدل هذا الشيء على ان الشخص يريد التظاهر بالعلم . وربما لهذا السبب قاطعه الطويل :

ـ انت قبل كل شيء من انت ؟

فابتسم ذو النظارة بطيبة :

ـ بالفعل نسيت ان اقول لكم .. يسمونني جيورجي دانائيلوف ..

ـ ان احدا لم يسألك ماذا يسمونك ! ـ قاطعه الطويل للمرة الثانية وبقساوة لا مبرر لها . من ارسلك ، ومن اين انت آت ؟

ـ فاجاب ذاك بهدوء .

ـ انا اخو دانائيل ..

ـ ولما لم تنتظر كيما نعطيك القسم الثاني من كلمة السر ؟

اشرأب عنق ذي النظارة اكثر وفوجيء بالسؤال العادل . ومر على وجهه ظل اضطراب . ثم نزل القناع عن وجهه بابتسامة كلها طيبة وقال رأسا .

ـ نسيت لانني المرة الاولى و .. نسيت .

صمت الاثنان . ثم سأل الشاب ، الذي كان يتميز وجهه بتعابير اهدأ واكثر حكمه :

ـ اين دانائيل ؟

ـ القوا القبض عليه ..

ـ وانت لماذا لم يلقوا القبض عليك ؟

وتتبع ذلك توضيح فيه الكثير من الكلام المتشابك .

.. كان طالباً وعاد فجأة ولم يعلم احد بوصوله .

قام رجال البوليس بحصار وقرعوا الباب ، فقال له اخوه بسرعة كلمة السر وما ان القاه وخباه ثم فتح بنفسه الباب ثم رفع الحصار فسار هو في الظلمة ..

لقد كان في هذا التوضيح لحظات غامضـــة ومريبة كثيرة . فكيف اختبأ . ولماذا فتـح دانائيل الباب وفي الواقع سلم نفسه ؟ لماذا كان ينبغي ان يقول مكان اللقاء والساعة وكلمة السر ، حين ان اللقاء ليس ذا اهمية حاسمة والدواء ؟ وما دام ثمة مخبأ لماذا لم يختبيء هو بنفسه !

وكيف استطاع هذا الشخص الضعيف صاحب النظارة ان يخرج بعد الحصار المباشر ؟

كانت هذه الاسئلة المقلقة تتخبط في ان واحد في رأسي الشخصين السريين ، فكان وجههما يتغضن وتتفتح عروق جبهتهما وصدوغهما . لقد حصلت في الاونة الاخيرة حوادث خيانة عديدة ، احد الاشخاص كشف مرتين المخيم الشتوي وكان عليهم مرتين تبديل اماكنهم ، مخترقين حصار البوليس والجندرمه بالكثير من الدماء والضحايا . الم يكف هذا محاولة لكشف المخيم الجديد الثالث !

قال الشاب فجأة :

ـ دنائيل يساعدنا منذ سنة . ولا اذكر ان قال ان له اخا .

لوى صاحب النظارة رأسه ، مصغيا الى كلامه وصاح مندهشا ، وكأنه لم يسمع جيدا :

ـ انتم ماذا ، لا تصدقونني ؟

فكرر الطويل بحزم وقساوة :

ـ ليس لدينا اي اساس !

ـ يعني كيف ؟

ليس لدينا اي اساس لتصديقك ! ـ كرر الطويل بوضوح وحزم . ـ اننا هنا بانتظار دانائيل وفجأة يأتينا مجهول ويقول انه اخوه .

ولكني اعطيكم كلمة السر !

ـ حتى النصف .. ربما كان ذلك صدفة ، ربما علمت بها صدفة و ..

ـ ومـــاذا ؟ ـ سأل ذو النظارة برعب في

حوته وعينيه .

وصمت الاثنان وامعنا في التفكير ، ولم يتوقفا عن تفحص المجهول . وكان يبدو على حاله هذه ، طويلا منحني الظهر ، على ضوء السماء الشتوية الرمادية ، ذليلا اكثر منه خطرا ، وكان لون ثيابه غير المحدد يندمج مع اللون الازرق القاتم للارض المتجعدة وبجملة مجرداً من الهيئة تقريبا . وكان وهو محمر الوجنتين من جراء شمس بعد الظهر ، او ربما من جراء السرعة او من جراء مرض صدري ، كان يشبه شخصا يشكو من الم في ضرسه وقد وقف بامل وثقة امام باب الطبيب ، ان كل شيء كان يبدو ضده ـ شعاع النهار المولي والسماء اليابسة الخالية من السحب والارض المتجلدة . وهو على هذا الشكل واقف كالحارس في هذا الوسط لم يكن يبعث على الثقة

امره الطويل :

ـ قف هكذا دون حراك !

وقاد رفيقه في الجوانب .

وقف الاثنان على بعد حوالي عشرين خطوة منه ودون ان يحيدا بصرهما عنه احنيا رأسيهما الواحد بجانب الاخر . واخذ يتشاوران . وقد استمر ذلك وقتا كافيا ذلك لان ذا النظرة كان ينقل ثقل جسمه بصورة متواصلة من رجل الى اخرى وبصره معلق بهما مفعم بالرجاء والامل . وكان الطويل يلوح بيديه بحرارة ويتحدث بصوت خافت ، ولكنه متردد . وكان الاخر يرفع كتفه ويشير بعينيه الى رجلي ذي النظارة وكأنه كان يوضح له شيئاً بهدوء وتعقل .

تطلع ذو النظارة بصورة تلقائية الى رجلية . وكان الحذاء الرخيص الموضوع فوق جراب قطني رقيق لا يكاد يعلق على رجلية . وفي هذه الاثناء مر سرب من الطيور عالية في السماء فاحدث صوتا حادا . فأين كانت هذه الطيور تائهة في هذه الصحراء الجبلية المتجمدة ! ، اذ ليس ثمة من نهر ولا مستنقعات في هذه البقعة . كانت لوميش القرية التي قدم منها اقرب مايكون ولكنها كانت تبعد مسيرة عشر ساعات . احقيقة ذلك ام هكذا خيل اليه . ولكن ذا النظارة رأى كيف انفصل طير يشبه الكرة السوداء من السرب واتجه نحو الارض . وخيل اليه ايضا انه رأى اين سقط تماما ـ على هضبة جرداء مغطاة بقشرة جليد لامعة واعترته رعشة . لم يكن يعي لماذا على وجه الضبط ، ولكنه ارتعش بفزع خاص وشوق الى الناس والدفء .

واقترب الاثنان من جديد . وقال الشاب ذو المعطف :

ـ هيا نسير . لقد تاخرنا كثيراً وينبغي ان نسرع . وينبغي عليك انت ان تسير في محاذاتنا . لن ننتظرك فان تاخرت ـ النهاية !

ولم يوضح تماما ماذا يفهم من هذه «النهاية» شد حزام معطفه وسار ومعه الطويل الذي يرتدي لباس حراس الغابات . وتبعهما ذو النظارة آليا .

كانوا يسيرون باتجاه الغروب تماما وكان ذلك واضحا في الخط المنكسر للافق الجبلي . كان الدرب ضيقاً وعرا شديد الانحدار منزلقا بفعل الجليد .

وكلما توغلوا الى الداخل تكاثرت الغابات وبدت اغصان الاشجار المتجلدة كانها قضبان جليدية .

وعلى الرغم من هموده الريح ، فقد كانت ترن في الهواء الزجاجي البارد للنهار الواضح ، ولعله ذلك من جراء الصقيع الذي كان يقبض على كل شيء . وفي احد الوديان زحف ضباب خفيف اسدل رداء على الدرب . فبات من الصعب السير . وكان ذو النظارة يهرول بصعوبة وبصورة مضحكة وبعد ذلك لمح امامهم النهر المتجلد ، الذي كان عليهم ان يعبروه . مر الاثنان على الجليد الرقيق بتؤده ولما وطأ الضفة المقابلة ، تابعاً طريقهما الى الاعلى بنفس السرعة التي نزلوا بها . وكان ذو النظارة يخطو على الجليد بنفس الخطوة الواثبة المميزة له . حتى انه كان يخبطدون مبالاة وبحيوية وسرعان ما غرقت احدى رجليه عبر القشرة المتجلدة . وعندما سحبها ، كانت بدون حذاء . وبقي على قدمه جورب رقيق رطب فقط .

تفحص لحظة كانما يريد تقدير ما اذا كان سيصعد ويشير الى الاعلى . كان يخطو بسرعة الا انه لم يكن يريد التاخر عن صاحبيه . وكان ذلك يكلفه جهودا عجيبة لا يمكن

تصورها ، ذلك لان شفتيه كان ادماهما العض عليهما .
كم ساروا هكذا ؟ ساعة او ساعتين . وربما اكثر ، ذلك لان اسطوانة الشمس ، الشبيه بصفار بيضه ضخمه متجلدة ، حطت على حافة الافق . كان ذو النظارة يسير في اعقاب النصيرين . وفي مكان آخر كان قد وقع حذاؤه الاخر . وانزلقت جواربه من جراء السير والجليد والاحجار فكان يعدو على الدرب المتجلد حافي القدمين تماما . وكان قدماه قد ازرقا وبيضا وتشققا وتدميا ، على انه كان يطأ بشجاعة . لم يعد منذ امد بعيد يشعر بالقر والنتوءات . فقط في بعض الاحيان كان يشعر بلهب حاد يسري في جسمه كله ويصل الى قلبه . ولكن عندئذ ايضاً لم يكن يتأخر ، وانما كان يجمع آخر القوى للحاق بهما .
في بعض الاحيان كانا يلتفتان وكان الشاب قد رأى آن ذا النظارة . قد اضاع حذاءه في الطريق فقال لرفيقه : — كفى . لنقف ونضمد جراحه ..
ولكن الاخر كان يريد من سرعته وكانه يقصد ذلك لقد كانا عازمين على اختبار اخلاص ذي النظارة وكان ينبغي المسير بالاختبار حتى النهاية . وعلى الرغم من ان الطويل المرتدي معطف حراس الغابات كان يرى قدمي المجهول الحافيين المدميين . فانه كان يخطو بسرعة واقدام .
— ولكن هذا قاس . — قال الشاب ذو الوجه الفتي صوت خافت وبجدة .
فاجاب الاخر باحتضار وغضب .
— وليس قاسيا ان تفني الفصيلة .؟
وكان هذا الشخص العاجز ذو النظارة . الذى كان يتبعهما بجهود خارقة ، كان المسؤول عن الفشلين وعن معركتي الفصيلة القاسيتين . كان ذو النظارة يسير وفي بعض الاحيان كانت الالام شديدة الى درجة انه كان يفكر بينه وبين نفسه — ها انا ذا اطأ مباشرة على العظم ! وكان يعض على شفتيه ولسانه ويلعق دموعه الحارة و... يسير .
كان الشاب يفكر : لا يمكن ان يكون هذا الشخص خائنا . انه انسان نظيف شريف وجميل . انه مخلص . وباستطاعة المخلص فقطان يسير حافي القدمين على ارض متجلدة ، لكي ، لا يتأخر عن رفاقة . وتوقف . وتوقف الآخر ايضاً يصمت وكانه لايرغب في ذلك . عندما لحق بهما ذو النظارة ، مديده الى امام وبذل آخر القوة وانهمك الاثنان برجليه . اخرجا من حقيبة الظهر ضمادات نظيفة وربطا رجليه . وقد وجد الطويل في قمر كيسه حذاء شعبياً قديما ولكنه مرقع ، مصنوع من جلد البقر ووضع قدميه فيه وضعا في فمه قطعة من دهن الخنزير وناولاه جرعة ماء .
وعندما عاد ذو النظارة الى نفسه ، تطلع اليهما بعيون فارغة لاتفهم وسأل :
— اوصلنا ؟
— اين ؟
— الى الفصيلة . يجب ان اتحدث مع القائد .
— وماذ ستقول له ؟
— فصمت ذو النظارة وكانه يتردد .
وقال :
— اوصاني شقيقي بان اقول له ان هناك خيانة . ثمة في المنطقة فشل والصلات القديمة خطرة .
ينبغي البحث عن صلات جديدة .
وكان وهو نصف حي يتابع الحديث بهذه اللهجة الغريبة المرتفعة قليلا لشخص نصف مدني . والغريب ان ذلك لم يعد يرتجيها . على العكس كان كل ذلك يبدو بسيطا ومفهوما . كان دانائيل قدم قام بآخر محاولة لانقاذ الفصيلة ولم يعد ذو النظارة رمزا للخيانة ، وانما للرجولة .
رفعاه . امسكه الطويل بعتابة ببديه القويتين وقال بهدوء
— ينبغي ان نسير . بقي القليل ..
امسكه الشاب ذو المعطف بدون كتافات ومن الناحية الاخرى . وكانت تخرق راسه فكرة ملحة — متى سينتهي هذا الزمن القاسي .؟ متى ستنقضي هذه الايام القائة الشريرة ، التي يكلف فيها الاخلاص والشرف آمالا غير بشرية وعذابا رهيباً .
ولمس صدفة شيئاً مسطحاً وقاسيا على ورك ذي النظارة فسأله :
ماذا تحمل في جيبك ؟

التربية المهنية في
جمهورية المانيا الديمقراطية



ان جمهورية المانيا الديمقراطية بلد صناعي عالمي وانتاجها ذو شهرة عالميه في كثير من انحاء العالم الذين يشترون من مصنوعاتنا ومنتوجاتنا الالكترونية ، وصناعاتنا الكيميائية والبصرية وكذلك من باقي الفروع الصناعيـــة .

وفي برنامج السبع سنوات الاقتصاد الوطني في المانيا الديمقراطية وهي الفترة الواقعة بين عام ١٩٥٩ – ١٩٦٥ سيزداد الانتاج الصناعي حتى١٨٨٪ وكذلك ازدياد مقابل في الانتاج الزراعي وهذا التقدم في الانتاج موجه في عدة فروع لتحتل المانيا الديمقراطية المكانة الاولى في الصناعات الميكانيكية وانتاج القدرة الكهربائية هذة الطاقة على الانتاج تتطلب ثقافة ودراية وكذلك التبادل التجاري والصناعة والزراعة بحاجة الى عمـــال حرفيون يملكون معرفة خاصة وموسعة في مثل هذه الامور وكذلك من ناحيه اخرى يجب ان يلموا بالاشغال الاخرى .

ولتربية العمال تربية مهنية يفرض على الشباب ان يتعلم

فلم يحر جوابا . ولعله كان يريد التذكر بالفعل ماذا يحمل ثم قال ببطء وبصورة متقطعة :

– كتاب في الحقوق .. كنت ساتقدم للامتحان .

واخلد الشاب بـــدوره الى الصمت . وترقرقت في عينيه الدموع ، دون انتظار ودون ارادة . لم يمسحها لان الظلمة كانت مخيفة . جال بباله شيء ولم يســـتطع الامتناع عن التصريح به :

– لقد اجتزته .

فسأل ذو النظارة .

– ماذا ؟

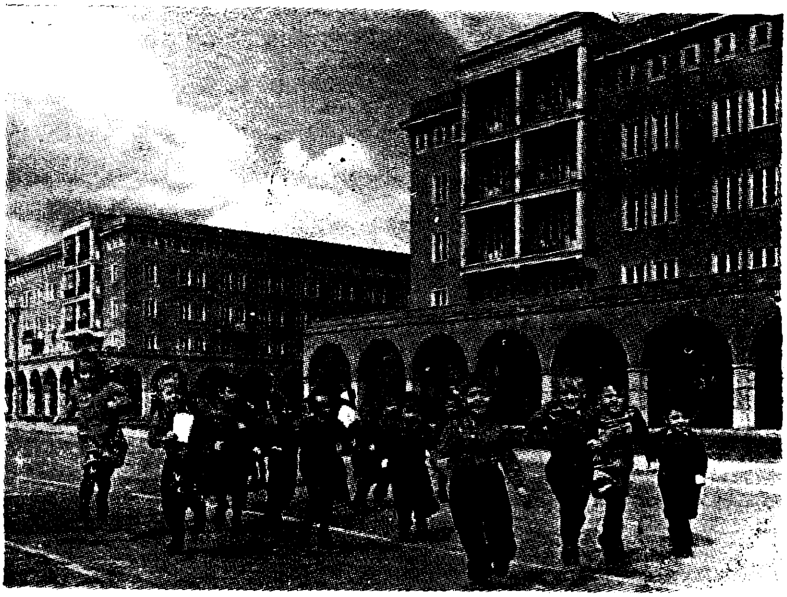
– امتحان الحقوق ..

وفي هذه اللحظة صفر الطويل صفرة جادة ، ولكن بصوت خافت ، اذ كانوا قد وصلوا المركز الاول .

بالمدارس عدة مهن ومعارف اساسية تؤهله لفروع معدنية اكثر اهمية .

ولذلك فان اكثر الاطفال يدرسون في عشر صفوف علوم مختلفة وسيصبح في عام ١٩٦٤ هذا التعليم عاما بالنسبة لجميع الاطفال في المانيا الديمقراطية .

في هذه المدارس يتلقى الطلاب دروساً صناعية في يوم من الاسبوع اعتبارا من السنة السابعة . وفي هذا اليوم يتعلمون سكب المعادن بادارة اساتذة وعمال مختصين بأشغال المعادن والاخشاب . وفي الالات وفي الزراعة ايضاً .



بعض الاطفال في احد المعاهد المهنية في المانيا الديمقراطية

ان مقاييس التعليم تعتمد على التعليم المهني وان ٩٠٪ من الاحداث الذين يدخلون الحياة الفعلية يتعلمون حرفة نافعة . وان الـ ٤٥٠ حرفة التي تدرس في مدارسنا بمعدل عامين او ثلاثة لاتشكل الا جزءاً من اقتصادنا الذي يعتمد على المهنيين .

ان المعاهد الصناعية تستوعب عادة ٤٢٤٨٠٠ طالبا و ١٢١٦ مدرسة و ٣٦٠٤ مصنعاً ٩٤٦ مكان تمرين للصناع وفي مجمل هذه المدارس والمصانع يعمل :

١٤٢٩٢ معلم
٢٣٥٩٤ معلم حرفي

القسم الاعظم من صناعنا يتعلمون بمدارس صناعية فنية وطنية . وهذه المدارس فيها ايضاً صفوف للدراسات النظرية ، وكذلك هناك صفوف صناعقة يعيش بها الطلاب ويعتنى بهم من قبل المشرفين عليها .

كثير من الطلاب يقضون عطلتهم الصيفية المأجورة في معسكرات العطل الصيفية وفي المدارس المهنية حيث تضع حكومة المانيا الديمقراطية كل امكانياتها لاخراج جيل مثقف ثقافة مهنية يحترم قضية بلاده ويحب وطنه ويحفظ الصداقة والمحبة لجميع الشعوب الاخرى .

زوروا جناح المانيا الديمقراطية
في مدينة المعرض
من ٢٥ آب الى ٢٠ ايلول

الحياة الاقتصادية والزراعية
في تشيكوسلوفاكيا

تشيكوسلوفاكيا بلد صديق لنا اشترك في جميع معارضنا الدولية : وسنورد فيما يلي لمحة موجزة عن حياته الاقتصادية والزراعية .

لقد تشكلت في تشيكو سلوفاكيا حتى نهاية عام ١٩٥٨ تعاونيات زراعية بلغ عددها ١٢,١٤٠ وحدة زراعية تعاونية . وفي تلك السنة شمل القطاع الاشتراكي في الحقل الزراعي ونعني بذلك التعاونيات ومزارع الدولة شملت ٧٧٪ من مجموع الاراضي الزراعية .

والى جانب التعاونيات الزراعية توجد في تشيكوسلوفاكيا تعاونيات صناعية شعبية . وتضم هذه التعاونيات الحرفين والمنتجين الصغار في مختلف فروع الصناعة وفي البناء .

اما المعامل فانها في اكثر واهم فروع الصناعة ملكية عامة اي ملكية الدولة وتشمل هذه الفروع المناجم والافران ذات الضغط العالي والصناعات الهامة والمتاجر الكبيرة ، والتجارة الخارجية ، والسكك الحديدية وغيرها ومع هذا فهنا لاتزال توجد معامل ذات ملكية خاصة . فحتى عام ١٩٥٧ كان في تشيكوسلوفاكيا حوالي ٤٧٠٠٠ معمل صغير الملكية فردية . واكثر هذه المعامل هي معامل حدادة ونجارة او معامل احذية او خياطه وما اشبه .

ان الانتاج الصناعي لتشيكوسلوفاكيا ازداد حتى عام ١٩٤٨ بصوره عامة بنسبة ١٠٪ عن مستواه لما قبل الحرب . وان الخط البياني لتطور ونمو الانتاج الصناعي لازال يسير بارتفاع مطرد . في نهاية مشروع السنوات الخمس الاول (١٩١٩ - ١٩٥٣) الذي وضع في اعقاب مشروع السنين - لاعادة بناء الاقتصاد الوطني (١٩٤٨ - ١٩٤٩) وصل جدول الانتاج الصناعي مقابل عا ١٩٣٧ حدود ٢٠٩٫٨ وفي نهاية عام ١٩٤٨ وصل هذا الجدول ثلاثة اضعاف مستوى ماقبل الحرب . وتعتبر تشيكوسلوفاكيا في بعض فروع الانتاج لاسيا انتاج المكائن من بين اكثر الدول تطورا في العالم سواء من ناحية كمية الانتاج او نوعيته .

وقد ارتفع انتاج الطاقة الكهربائية في السنوات ١٩٣٧ - ١٩٥٨ من ٤,١ مليارد ك.و.س. الى ١٩,٦ مليارد ك. و. س. وفي نفس هذه الفترة ارتفع الفحم من ٤٣,٧ مليون طن الى ٨٢,٦ مليون طن وارتفع انتاج الفولاذ من ٢,٣ مليون طن الى ٥,٥ مليون طن وارتفع انتاج المكائن في السنين ١٩٤٧ - ١٩٥٨ حتى بلغ خمسة اضعاف .

ولقد نمت كمية المنتجات الزراعية . ولا سيما الانتاج الهكتاري حيث ازداد على المعدل المتوسط للمناطق الاوربية فان حاصل هكتار الارض المزروع بالحنطة ارتفع من ١٧,١ كوارتر الى ٢٠,٦ عام ١٩٥٧ ، وان الجويدار ارتفع من ١٦,٠ الى ١٨,١ كوارتر للهكتار الواحد اما الشعير فقد ارتفع من ١٧,٠ الى ٢٠,٤ كوارتر للهكتار . وفي نفس الوقت ارتفع عدد الدواجن .

وان العمال التشيكوسلوفاكين يعتبرون من اول نجاحاتهم التي حققوها في الانتاج وتطور الاقتصاد . لاسيما ما يتعلق بانتاجهم وباقتصادهم الذي يعتبر قاعدة غناهم المادي والثقافي . فالعمال التشيكوسلوفاكيون يعملون الان بعد

- اسباب نشوء الدعوة الهاشمية -

بقلم : علي هاني مجبور

هذا بحث في اهم الاسباب التي ادت الى نشوء الدعوة الهاشمية وليس كل الاسباب . فما اردت اسباب نجاحها ، ولا نظامها التفصيلي ولا الطرق والاساليب السرية التي اتبعها الدعاة والعاملون لها ومن اجلها ، وانما اردت ان اضع امام القارىء لمحة عن بعض النواحي السياسية والاجتماعية التي كانت نقطة البداية في نشوء اسباب الدعوة الهاشمية والتي ربما تعطينا بالمقارنة شيئا من العبرة والفائدة . نأخذ بها في عصرنا الحاضر .

واذا صح ان التاريخ يعيد نفسه فان ذلك لا يعني اعاده متشابه كل الشبه والمطابقة ، وانما يجب ملاحظة الشبه والاختلاف ، وتقدير عوامل العصر ، ودرجة التقدم الفكري والحضاري ، والظروف المحيطة بكل من حادثتين تبدوان متشابهتين يراد مقارنتهما .

توفي الرسول عليه السلام ، غير موص بخلافته لاحد من بعده ، بل ترك الامر شورى بين المسلمين ، وكأنه لم يشأ حصر الخلافة بفئة دون اخرى من المسلمين ، فالشورى والانتخاب هو السبيل الوحيد الذي اشار به محمد (ص) على المسلمين ذلك السبيل الذي لا يزال يمثل حتى عصرنا هذا افضل طرق الاشتراكية والديمقراطيه .

وقد اجمع المؤرخون على ان تولي الخلفاء الراشدين الحكم ، تم بطريقة الانتخاب والشورى ومبايعة بقية المدن والامصار الاسلامية الاخرى .. وبقي الامر كذلك حتى استطاع معاوية بن ابي سفيان استخلاص الخلافة من علي وبنيه ، وحصرها في بني امية عن طريق الوراثه ، حتى قيل في ذلك (ان معاوية جعل من الخلافة ملكاً كسرويا) .

ولابد لنا من وقفة عند هذه الفترة الهامة من حياة الدولة الاسلاميه والمسلمين ، لنلمح من خلالها الجذور العميقة التي انبثقت فيما بعد سبباً من اهم اسباب نشوء الدعوة الهاشمية التي تحولت في آخر امرها الى دعوة لابناء العباس من دون الهاشميين جميعا وخاصة ابناء علي .

ولنوضح هذا . يجب ان نراقب عليا وموقفه ، ونناقش رأيه وسلوكه خلال هذه الفترة .

فعلي ابن عم رسول الله (ص) وصهره ، وربيب بيته . لذا فهو اقرب الناس اليه نسباً ، وهو اول فتى دخل في الاسلام ، شهد الغزوات والوقائع الى جانب الرسول (ص) وكان فارس الاسلام المجلي في كل ميدان نصر الاسلام بسيفه النافذ وعقله العالم . وقدم في سبيل ذلك كل ما يستطيع

مئات السنين من العمل الاجنبي وللسادة : يعملون الان لانفسهم ولاثراء حياتهم الخاصة .

وفي الحقل الصناعي يرى برنامج السنوات الخمس الثالث للتطور الاقتصادي التشيكوسلوفاكي (١٩٦١ - ١٩٦٥) ان حجم الانتاج الصناعي لكل الجمهورية ، سيزداد بما يقارب ٥٠٪ ، وبالنسبة لسلوفاكيا سيزداد بما يقارب ٧٥٪ كل ذلك قياساً على انتاج عام ١٩٦٠ . وهكذا فان نصيب سلوفاكيا من الانتاج الصناعي الوطني سيزداد بمقدار ١٧,٧٪ في عام ١٩٦٠ ، وبمقدار ٢٠,٤٪ في عام ١٩٦٥ .

ان مصانع هائلة جديدة سيتم بناؤها او انجازها مصنع انتاج الفولاذ في سلوفاكيا الشرقية ، وهو اكبر مصنع من نوعه في كل الجمهورية ، مصنع كيمائي ، انابيب للنفط تأتي عبر الاراضي السوفييتية ، على طول عدة الاف من الكيلو مترات وتنتهي هذه الانابيب في سلوفاكيا الى مصفاة كبرى للبترول . مشروع واسع للري لاستصلاح الاراضي المنخفضة من قليم سلوفاكيا الشرقي ، مصانع لانتاج التجهيزات الميكانيكية ؛ واخيرا ، مصانع جديدة لانتاج مواد البناء ، الامر الذي سيساعد ؛ مرة اخرى ، على رفع مستوى حياه الشعب السلوفاكي . وتجدر الاشارة في الختام ، الى ان المركز الذري الكبير الاول للجمهورية ، يجري بناؤه في سلوفاكيا .

انه بمثل هذه الطريقة تزول الفوارق التي كانت موجودة بين الاراضي التشيكية وسلوفاكيا .

بجرأة واخلاص متناهيين . وكذلك ايمانه الشديد وتفقهه العميق في الشريعة الاسلامية ، كل هذه الميزات جعلته في الصف الاول بين الصحابة خاصة والمسلمين عامــــه ، وجعلت منه المرشح الاول لمنصب الخلافة في رأيه ورأي بعض كبار الصحابة وجماعة من عامة المسلمين

ويظهر ان علياً كان على ثقة بمبايعة المسلمين له بالخلافة فقد بقي في منزل الرسول «ص» وقت وفاته يقوم على تجهيزه ودفنه ، فلم يحضر اجتماع الانصار وكبار المهاجرين في سقيفة بني ساعدة الذي ادى الى مبايعة ابي بكر بالخلافة وحرمانه منها .

قلنا ان عليا كان يثق بمبايعه المسلمين له ، وقد برهن علي نفسه على صحة هـــذا القول ، بامتناعه عن مبايعة ابي بكر مدة ستة اشهر . ولم يفعل بعدئذ الا حقناً لدماء المسلمين وحفاظاً على وحدة الصف ، تمزقه الاهواء ، والمسلمون ساعتئذ باشد الحاجة للتضامن والتكاتف لحرب الردة التي بدت بوادرها في ذلك الحين ..

وقد ايد موقف علي هذا كثيرون ممن يرون فيه احق الناس بالخلافة وقد كانوا مؤمنـــين بوجهة نظرهم ومخلصين لها ، فرددوا آراؤهم جهرا ودعوا لها .

ولا بأس من ذكر مارواه اكثر المؤرخين القدامى عن قول أبي سفيان لعلي ، عقب خلافة ابي بكر : لقد اغتصبوها منك وانت والله بها احق . فان شئت استرداد حقك ، فوالله لاملأنها عليهم خيلا ورجلا » فنهره علي رضي الله عنه ، لانه لم يرض بالسماح له ولامثاله ان يستغلوا موقفه لاشعال نار حرب تؤدي الى فتنة بين المسلمين .

وموقف ابي سفيان وان لم يكن شاهداً مخلصاً لقضية علي ، ولكنه على الاقل يرمز لوجود رأي واضح بين المسلمين بوجوب خلافة علي وتأييده ولولا ذلك لما تجرأ ابو سفيان على محاولته المذكورة مع علي .

وبعد وفاة ابي بكر كانت الخلافة من نصيب عمر وعثمان دون علي الذي كان في كل مرة يرضخ للامر الواقع بصبر المؤمن واناته ينتظر عودة الحق الى نصابه يوماً .

ورغم فشله في المرات الثلاث بالحصول على هذا الحق فانه لم ينثن على التمسك الشديد به طيلة هذه المدة ، ولكنه لم يدفعه الى محاولة الحصول عليه بالقوة التي ربما كانت تحقق له مبتغاه فيما لو حاول . اذ اننا نلاحظ وجود شعور واضح بين المسلمين خاصتهم وعامتهم بحق علي المهضوم وقد كان صبر علي وتضحيته اللامحدودة ، وتقديمه مصلحة المسلمين العامة على مصلحته وحقه الشخصي ، يضاعف هذا الشعور الذي كم تبدى برغبات صادقة لتأييد علي دائما ، ولدفعه احياناً على المطالبة « ولو بالقوة » بهذا الحق الذي كان يخسره بالطرق الدبلوماسية .

وعلى هذا الاساس يمكننا ان نعتبر انه كان لعلي نواة كبيرة من الشيعة والانصار والمؤيدين ، منذ كانت الخلافة لابي بكر من دونه . وكانت هذه النواة تزداد يوما بعد يوم وعلى اثر تولي كل خليفة من الخلفاء الثلاثه الحكم ، وان لم تكن تلك النواة حتى هذه اللحظة متماسكة بمبادئ متطرفة بآرائها كما سيحدث فيما بعـــد في العصرين الاموي والعباسي .

ولما تولى الخلافة علي ، كانت اطماع الامويين تملا صدورهم لاغتصابها . فاتخذوا من مقتل عثمان الحجة المعروفة وعلى رأسهم ، داهية العرب معاوية بن ابي سفيان ، والي الشام آنذاك ، ليكيدوا لعلي وليحققوا اطماعهم . فقضى علي مدة خلافته يحارب تلك الاطماع ليثبت مركزه فلم يستطع تحقيق ذلك ، ثم جاء بعده ابنه الحسن فتنازل عن الخلافة لمعاوية .

اما الحسين الذي اراد استرجاع حقه بالخلافة ، فقد انتهت حياته الكريمة في - كربلاء - كما هو معروف على نحو أثار حفيظة المسلمين في مختلف البلاد الاسلامية ضد الامويين .

ولا احسب انني مغال اذا قلت ان مبدأ التشيع المتطرف لآل البيت ، وللعلويين منهم خاصه ، قد تبلور بعد كربلاء ، فموقعة كربلاء بقسوتها وبشاعتها اثارت نفوس المسلمين ضد الامويين . هؤلاء بدورهم كانوا قد اتخذوا سياسة معينة نحو علي وابنائه فقد أمروا بسب عليّ على المنابر واجبروا الناس على سبه ، وعاقبوا من كان يمتنع بشدة متناهيه واضطهدوا كل من عرف بميله للعلويين وصادروا اموالهم في كثير من الاحيان . وتعقبوهم بواسطة ولاتهم وشرطتهم

وضيقوا عليهم وطالبوهم بمبايعة الخليفة الاموي وخصوصا معاوية وابنه يزيدمن بعده الذي تطرف اكثر من ابيه كل هذا يجري وعلياً وبنيه وانصارهم يلقون قدرهم القاسي تحت ابصار المسلمين واسماعهم .

لقد ظهرت فرق متنوعه بين المسلمين بنتيجه مقتل عثمان . وخلاف علي ومعاوية ، وهذه السياسة الاموية ، ومن اهم هذه الفرق الشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ...

ويهمنا الان الشيعة الذين كونوا حزبا متماسكا له اهدافاً واضحة ، ومباديء وتنظيمات خاصة ، وكان منهم شعراء جعلوا همهم البكاء المر والرثاء العميق لآ ل البيت ، فكانوا خير دعاة لهم .

لم يكتف الخلفاء الامويون باضطهاد آل البيت وحدهم فقط . بل ساروا على سياسة قال فيها الجاحظ « ان دولة بني مروان كانت عربية اعرابية » أي انهم فضلوا العنصر العربي في امبراطوريتهم المترامية الاطراف والتي تضم من مختلف القوميات والاديان على جميع العناصر الباقية .

فقد عرب الامويون الدواوين والمصالح الحكومية وخصوا العرب وحدهم بالوظائف البارزة الهامة . واستبعدوا الموالي والذميين وكل من هو غير عربي » ومن هو من آل البيت من العرب ايضاً . وخصوا اقربائهم ومؤيديهم بالمراكز الكبرى في الدولة وبالهبات والعطايا وان شذ بعضهم في بعض الاحيان كعمر بن عبد العزيز الذى ابطل السب على المنابر وسار على سياسة فيها تطبيق اكيد للشريعة الاسلامية . الا ان عمر بن عبد العزيز تفرد بهذه السياسة من بين خلفاء بني امية وحده .

ان السياسة الاموية العامه هذه اوغرت صدور الناس من آل البيت وانصارهم ، ومن الموالي، وكل من هو غير عربي .

وبامتداد الحكم الاموي واصرره على سياسته المرسومة تجاه هؤلاء الناس وخاصة الموالي منهم الذين كانوا في بادىء اسلامهم ينظرون الى العربي المسلم نظرة تجلة واحترام خاصين . فقد اخذوا يشعرون بوطأة السياسة الاموية ، وبحرمانهم من حقوق كثيرة كانوا يجدون في انفسم كل الكفاآت لمارستها . فتململوا من وضعهم في ظل الحكم الاموي ثم اخذوا يجهرون بما تكنه سرائرهم من حقدوثورة وبدؤوا يطالبون بحقوقهم علناً . فاتخذوا شعاراً لهم الآية الكريمة (يا ايها الناس انا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)وقول الرسول «ص» لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى) . ثم تطرفوا الى اكثر من هذا ، فألفوا الكتب ليظهروا ميزاتهم وفضلهم وسبقهم الحضاري على العرب وكذلك كتبوا صفحات وصفحات نثراًوشعراً بذم العرب وتفضيل انفسهم . وقد حمل لواء هذه الدعوة التي سميت « بالشعوبية » نسبة للآية الكريمة « يا ايها الناس انا خلقناكم شعوباً » الفرس لانهم كانوا اكثر عدداً او ارقى حضارة من بقية الامم الاخرى التى خضعت حتى ذلك الحين للحكم الاموي .

وقد وجد هؤلاء الناقمون على اختلافهم ، بقصة الهاشميين ، واغتصاب الخلافة منهم، منفذا لهم وقناعاً يخفون وراءه دوافعهم الحقيقيه التي وصلت في خيال بعضهم الى حد تقويض الدولة الاسلامية واحياء دولة فارس ، لذلك ابدوا عطفهم على آل البيت وحقهم المغتصب ، ودعوا الى تأييدهم باعادة هذا الحق بأي طريقة سلمية او حربية كانت . ولا اعني بذلك انهم خاتلوا في تأييدهم الدعوة الهاشمية ابـداً ولكنهم جعلوا هدفهم الاول تقويض العرش الاموي ، آملين الحصول على حقوقهم السياسية والاجتماعيـة في ظل الخليفة الهاشمي المرتقب كخطوة اولى . ولربما بدا لبعض الطامعين منهم تحقيق غايات ومآرب اوسع فيما بعد .

ويذكر الدكتور - عمر فروخ - في كتابه العرب والاسلام « ولم يكن الموالي ، اذا اخذنا بالنظريات السياسية في العصور الوسطى «نظرية الحق الالهي ونظرته النسب» سبب يطلبون به الملك لانفسهم او يردون به اذى العصبية العربية من اجل ذلك تبنوا الدعوة وجعلوا يدعون الى رد الملك آلى علي، ويجمعون الناس حولهم ثم يستثيرونهم بذكر المآسي

لقيها آل بيت الرســول على ايدي الامويين منذ ايام علي والحسن ، ومنذ كربلاء والحسين على الاخص .»

وقد كان لهذه الدعوة مركزان : مركز قريب في الكوفة تنتشر منه الدعوة سراً وجهراً ، ومركز بعيد في خراسان ينشرون منه الدعوة ، ويعدون فيه الجيوش التي ستسير في وقت المناسب للقضاء على بني امية .

وقد اتفق الهاشميون من ابناء علي والعباس سراً في بادىء امر الدعوة على تنظيمها والعمل معاً على انجاحها . ولكن بدا لبني العباس ان ينافسوا ابناء عمهم علي في طلب الخلافة ولكنهم آثروا الايدعوا الى انفسهم رأساً ، لان الموالي كانوا قد القوا قيادهم الى دعاة العلويين مرة واحدة ففضلوا ان ينالوا بالدهاء ما ايقنوا انهم عاجزون عن نيله بالقوة والغلبة . وهكذا تستروا وراء الدعوة « للرضا من آل محمد » ثم استغلوا في ذلك العاطفة العلوية عند جمهور من الناس ووجاهة العلويين عند الموالي خاصة .

كان المفهوم من الدعوة« للرضا من آل محمد .. نقل الخلافة الى بني علي . ذلك لان الذين قاوموا الأمويين في قرن كامل من الدهر واستشهدوا في سبيل ذلك كانوا علياً وأبناءه .

ولكن العباسيين أبدوا براعة في تحويل الدعوة لانفسهم فقد جعلوا الحميمة جنوب الاردن مركزاً لدعوتهم ، وفي سنة « ١٠٠ هـ » وجه ـ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وهو رأس الدعوة العباسية ، الدعاة الى العراق وخرسان وامر بنشر الدعوة سراً له ولاهل بيتة . فانبث دعاته يعملون بين الموالي الفرس والترك بضعة عشر عاما .

وظهر ابو مسلم الخراساني الذي كان لجهوده الكبيرة الفضل في بث الدعوة العباسية واجتناء ثمرة الدعوة العلوية وصرف الخلافة من العلويين الى العباسيين .

وهكذا نجد ان قصة حق علي بالخلافة والحوادث التي رافقت هذا الحق والخلافات وتولي ابو بكر وعمر وعثمان والخلافة قبل علي ومقتل عثمان واستيلاء معاوية على الخلافة وموقعة كربلاء واستشهاد الحسين . كل هذة الحوادث انتجت سبباً هاماً ورئيسياً جداً لنشوء الدعوة الهاشمية،

وكذلك سياسة الخلفاء الامويين التي اعتمدت على تفضيل العنصر العربي وتمييزه على العناصر الاخرى في الامبراطورية الاسلامية ، كانت السبب الرئيسي الثاني في نشوء الدعوة الهاشمية وتكوينها .

الفهرست